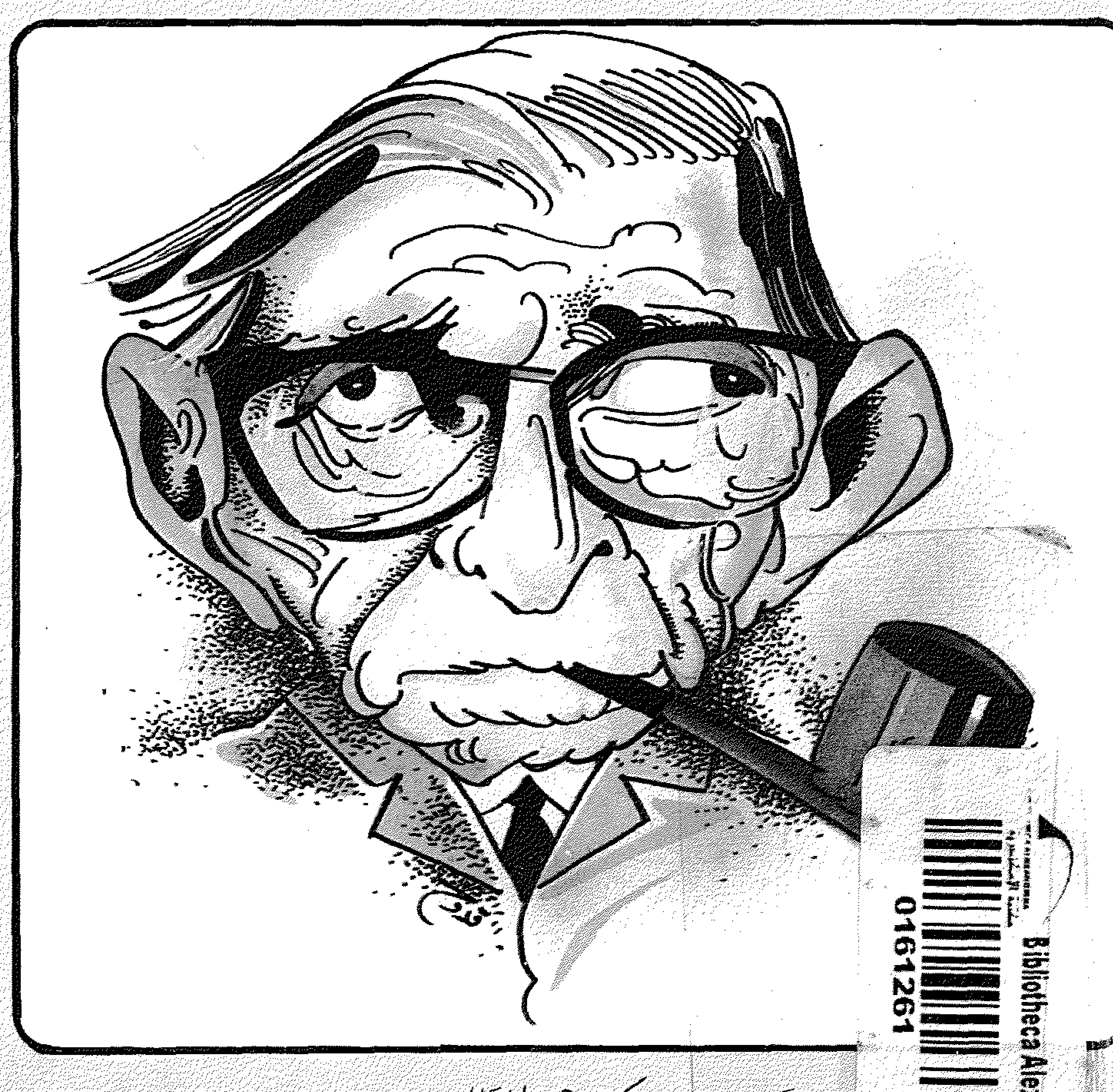
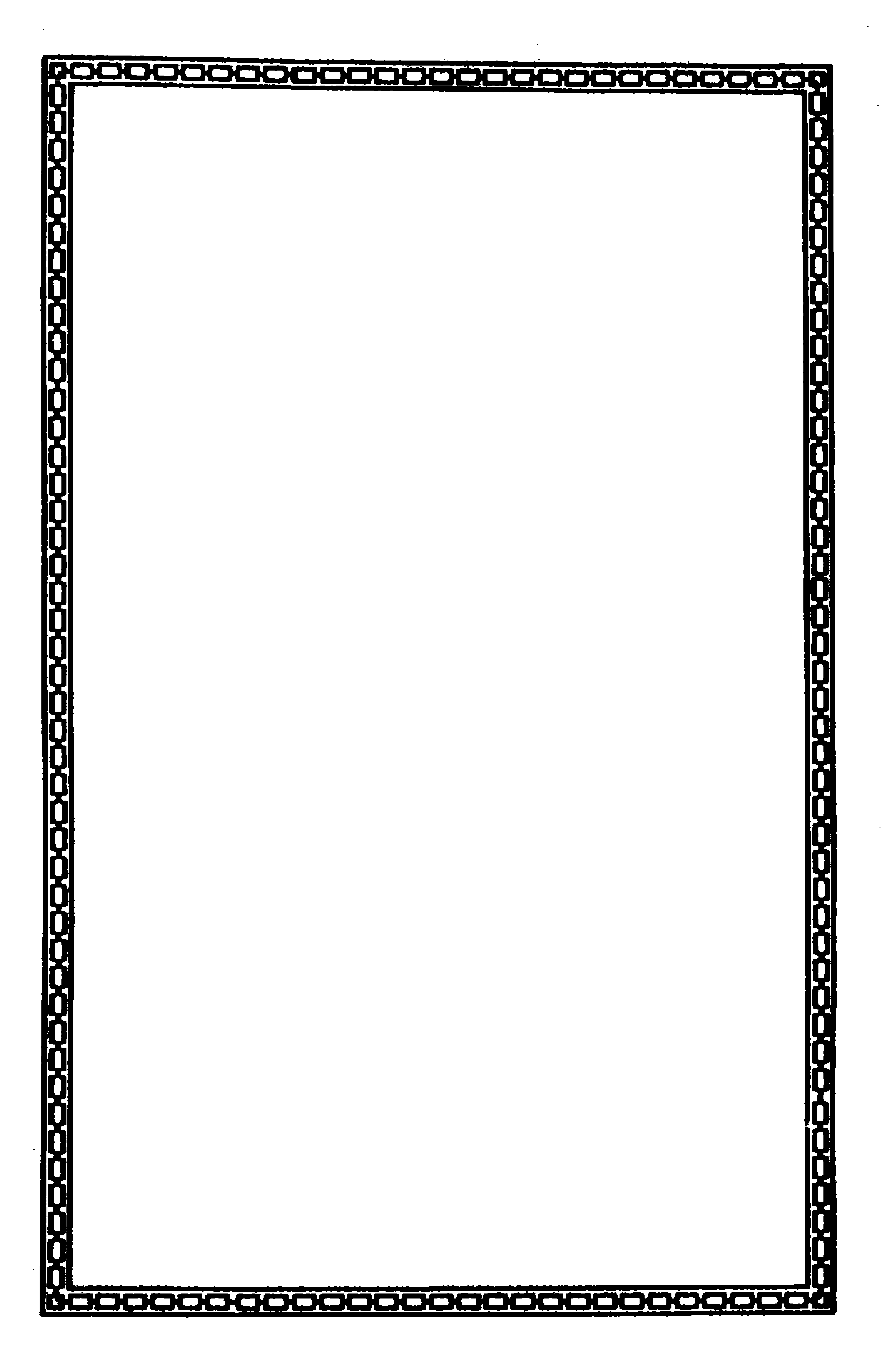
عباقرة
خالدون

تأليف
محمد كامل حسن المحامي

جان بول سارتر

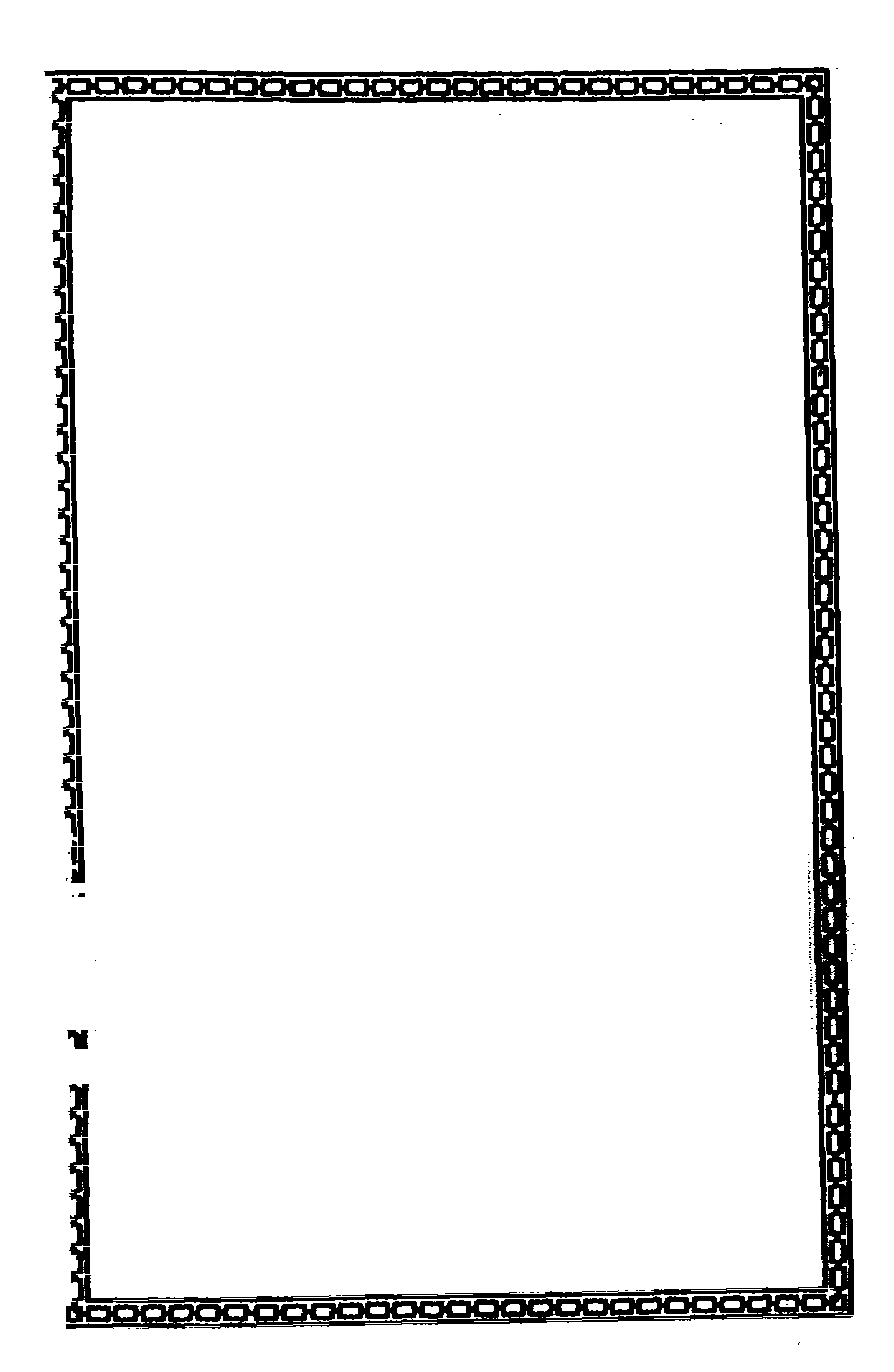


منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر



جان بول سارتر

فيلسوف الوجودية



عباقرة خالدون

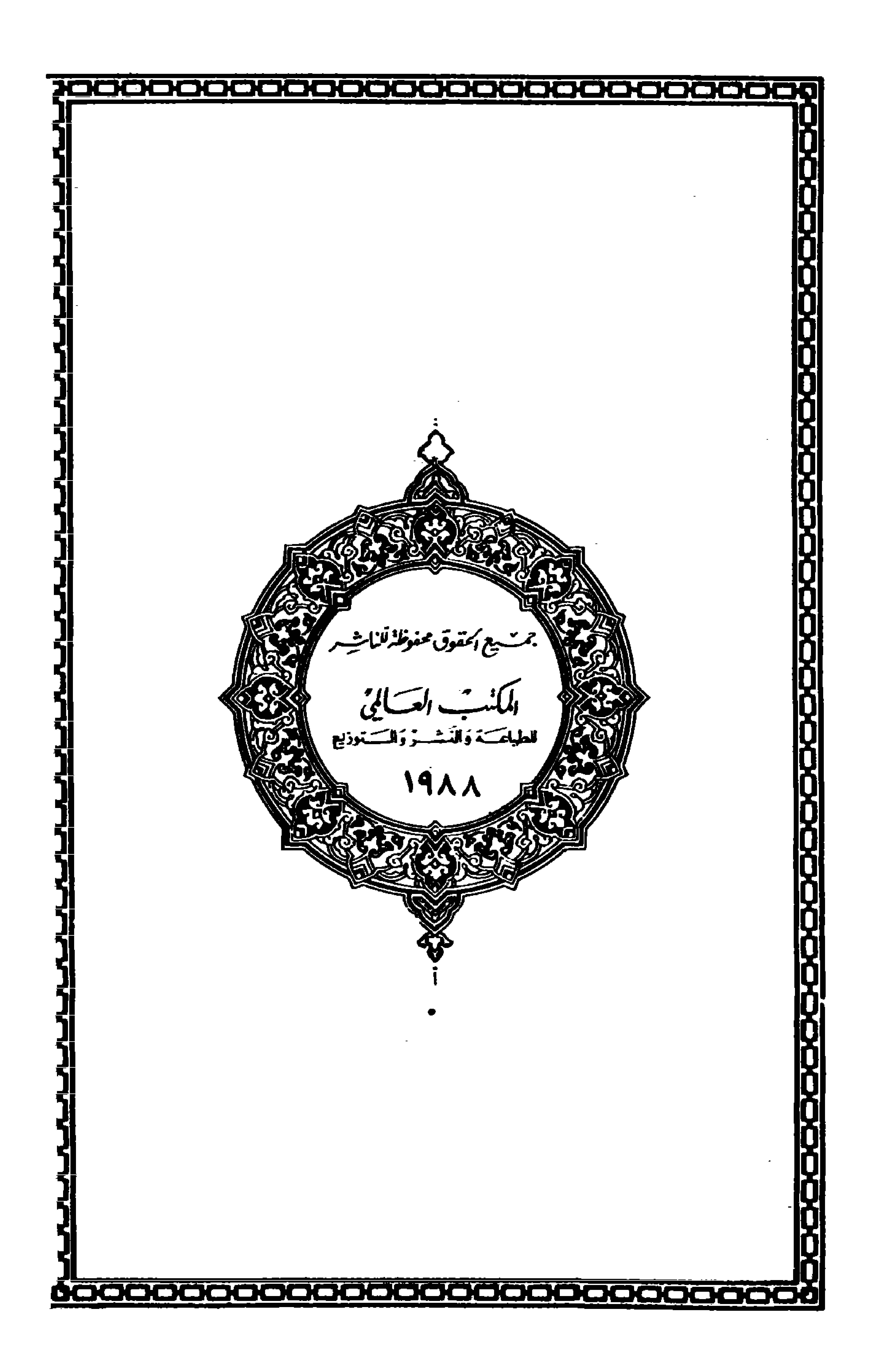
جان بول سارتر

فيلسوف الوجودية

تأليف

محمد كامل حسن المحامي

منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر



جميع الحقوق محفوظة للناشر
المكتب العالمي
للطباعة والنشر والتوزيع
١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العبقرية سرٌ غامض من أسرار البشرية . .

وسبب غموضه أن عدداً كبيراً من العلماء والباحثين حاولوا أن يعلموا المسبب أو الأسباب التي تمهّد لظهور أحد العباقرة فلم يتفقوا على رأي أو نظرية مُعيّنة . .

ليس من الضروري أن تورث العبقرية . فقد ثبت بالاستقراء أن السواد الأعظم من العباقرة انحدروا من أُسَرٍ ليس فيها ولا في جذورها عبقري واحد كالعالم اينشتاين والمخترع العبقري توماس ألفا إديسون . .

والعبقرية ليست مقصورة على أمة من الأمم . .

والعبقرية أيضاً ليست مقصورة على الرجال . . فهناك عددٌ غيرُ قليلٍ من النساء العبقريات أمثال (هيلين كلر)

و(مدام كوري) وغيرهما . . .

وما من شك في أن دراسة تاريخ العباقرة يهفو إليه السواد الأعظم من الناس . . لأن ظهور العبقري في عصر من العصور يُعتبر ظاهرة غير عادية . .

إن العبقري يكرِّس حياته ومواهبه وطاقات نشاطه العقلي لخدمة الجنس البشري . . فهو إنسانٌ، رجلاً كان أو امرأة ، يُفني عمره من أجل تحقيق رسالةٍ تهدف إلى إسعاد الإنسانية جمعاء وتقدّمها في مدارج المدينة .

ونحنُ نقدم هذه السلسلة الجديدة من نوعها ونُخَصّص كل كتاب منها لسرد تاريخ حياة أحد العباقرة في أسلوب قصصي عصري مشوق . .

ولقد اعتمد مؤلف هذه السلسلة الكاتب المعروف الأستاذ محمد كامل حسن المحامي على أدق المصادر وأوفاها سواء في ذلك المراجع المكتوبة باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الايطالية إذ أن درايته الواسعة بهذه اللغات جعلت من كتب هذه السلسلة تُحفةً ثقافية حافلة بأهم المعلومات عن حياة هؤلاء العباقرة .

كيف نكتشف العبقرية ؟ . .

كيف نُنَمّيها ؟ . .

ما علاقة العبقرية بالعاطفة ؟ . . وهل يعرف العباقرة الحب كما يعرفه البشر العاديون ؟ . .

ما الفارق بين العبقرية والعظمة ؟ . .

كل هذه الأسئلة وغيرها سوف يجد القراء إجاباتها الشافية في كتب هذه السلسلة التي تُعتبر فتحاً جديداً في عالم الثقافة .

إن تاريخنا العربي مليءٌ بالعباقرة العظام الّذين مجّدهم الفلاسفة والعلماء الغربيون . . وكان للعباقرة العرب أكبر الفضل على الثقافة الاوروبية . .

ومن هؤلاء ابن سينا وابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم .

ومن العباقرة العرب الخالدين من سجّل أمجاداً في الميادين العسكرية والاجتماعية مثل صلاح الدين الأيوبي والبطل اللبناني الأصل هنيبعل الذي عرف في التاريخ باسم هانيبال وهو أوّل من عبر جبال الألب بجيشه ليضع حداً لطغيان الرومان وتحرشهم بالشرق .

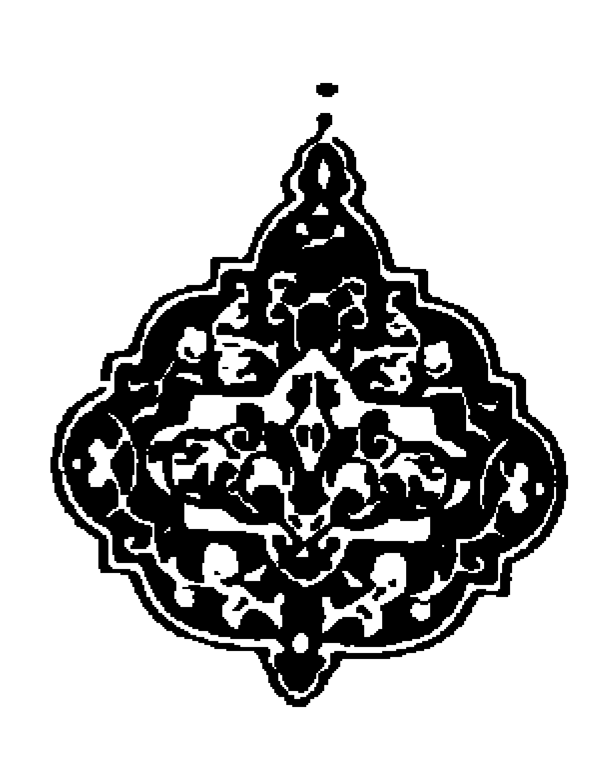
كل هؤلاء وغيرهم سوف تضُمُّهم سلسلة : «عباقرة خالدون » التي رُوعِيَ في كتابتها أن تلائم جيلنا الصاعد

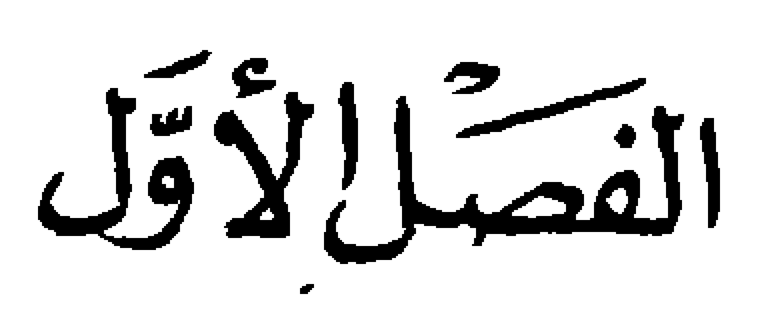
وتكون خير عونٍ له ليشقّ على هَدْيها طريقه في الحياة . .

ونحن نرجو من القراء أن يوافونا بآرائهم عن كل كتاب وألا يبخلوا علينا باقتراحاتهم . .

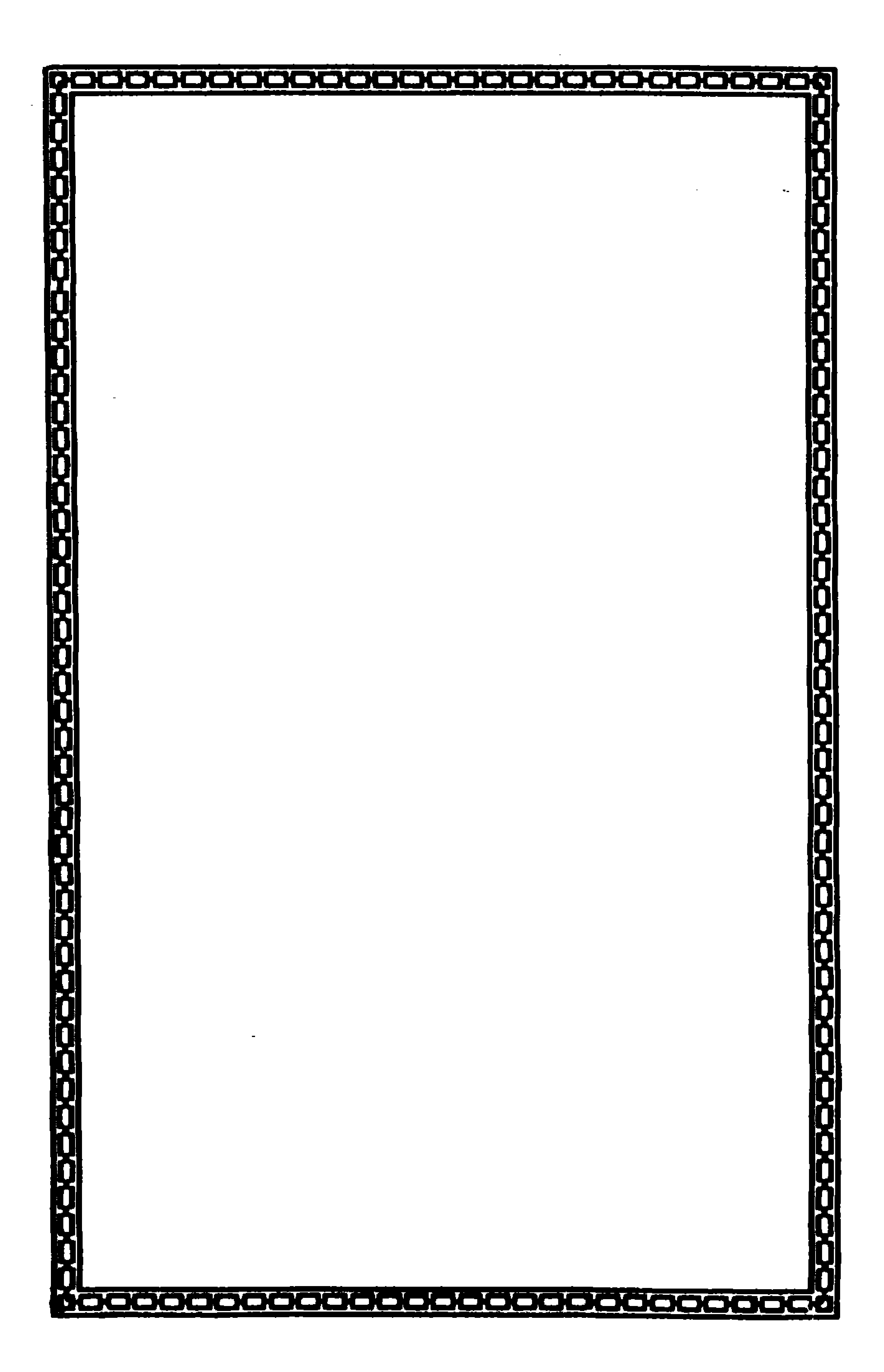
والله جلّت قدرته هو الموفق لما فيه خير العرب أجمعين .

المكتب العالمي





بيئتُه ونَشْأتُه



يُعتبرُ (جانْ بول سارْتـر Jean Paul Sartre) مِنْ أشْهرِ فلاسِفَةِ القَرْنِ العِشْرين .

ولمْ تقتصـرْ شهرتُـه علَى الدوائِـر العِلْمِيَّـةِ أَوِ الأدبيَّـةِ الَتي تهتمُّ بالفلْسَفِة ، بـلْ تعـدتْها إلى قطاعٍ واسعٍ مِنْ عامَةِ النَّاسِ ، وممّنْ لا يُبالُـون بـالفلْسَفةِ ، أو مِمّنْ يهـربونَ مِنَ الاطـلاعِ علَى مصــادِرِهـا أوْ قــراءَةِ كُتبِهـا لِمـا تكتظُّ بـهِ منْ تعقيداتٍ لَفظيَّةٍ ومَعْنويَّة .

والسببُ فِي ذلِكَ هُو انَّ (سـارتـر) عـالَجَ نـظريَّاتـهُ بأسلوبٍ سهـلٍ مبسّطٍ ، ولمْ يُعالِجْهـا وهُــوَ يجلِسُ فِيْ بُـرجِ الفَلْسَفــةِ العـاجيّ كمـا يَقـولـون ، ولكنّــهُ أعْلَنَ آراءَهُ وتـوجيهــاتِـهِ مِنْ خـلالِ مقالاتِـهِ الصُحفِيّةِ الّتي كـانَ ينشرُهـا فِي

المَجلةِ الَّتي كـانَ يُشـرِفُ علَيهـا واسمُهـا : (الـعُـصـورُ الـحَـديـثـة : Les temps Modernes) أوْ بـوسَاطـةِ قِصصـهِ القَصيـرةِ والطَّويلةِ ومَسْرحيّاتِهِ الحَديثةِ .

إنَّ (سـارتر) يُعتبـرُ من أبْرعِ وأنجـحِ كُتّابِ القِصـةِ فِي القرنِ العِشـرين ، وَهُوَ بـوجـهٍ عـامّ كـاتِبٌ قصصيٌّ لَـهُ مبـادئـه التي يلتـزِمُ بِهـاومُثلُه العُليـا التي تُبلوِرُ طَبيعةَ نـظرتِهِ إلى الحَيـاةِ ، أوْ بعبـارَةٍ أدَقّ ، للدورِ الذي يتحتَّمُ عَلَى الإِنْسـانِ القيـامُ بهِ خِـلالَ تِلْكَ الفَتْرةِ الـوَجيزةِ مِنَ الـزَّمن الَّتي نسمِّيها « العُمر » .

يَظنُّ غالِبيَّةُ النَاسِ انَّ (سـارْتر) هُـوَ مُنشِيءُ مـذهَبِ (الوُجـودِيَّـة Existentialism)، ولكنَّـهُ ظنٌّ خـاطِيءٌ ، فمذهبُ الـوُجوديَّـةِ مـوجـودٌ مِنْ قبلِهِ كَمـا سيأتي بيـانُه ، ولكنْ يُمكِنُنـا القـولُ بأنَّ (جانْ بـولْ سارْتْـر) هُو مَنْ بلْوَرَ المـذهبَ الوجوديَّ المعاصرَ .

لقد أساءَ الكثيرونَ فَهْمَ مذهبِ الـوُجودِيَّـةِ ، وحسبُـوهُ انـطلاقـاً وتحـرراً مِنْ كـلِّ القيَـمِ الأخْلاقِيَّة ، فما دامَ الإنْسانُ مـوجوداً علَى ظهـرِ كـوكبِ الأرْضِ ، وموجـوداً علَى قَيْدِ الحَيـاةِ ، فليفعَلْ ما يَحْلو لَه ليُسعِدَ نفسَهُ ، بالطريقةِ الَتي تتراءَى لَه .

ومَـا مِنْ شكٍّ فِي أنَّ هَـذا التـأويـلَ لمـذهَبِ الوُجودِيَّة إنَّما هُوتأويلٌ خـاطِىءٌ وفَاسِـدٌ ، ولَوْ أَنْ (سـارْتِر) دعـا لمثل هَـذه الـدعْـوةِ مِنَ التحـرُّرِ والإبَاحِيَّةِ لَمَّا تَبوّأ مركزَهُ العَـظيمَ كرائـدٍ مِنْ روَّادِ الـفِـكْـرِ ومِـنَ الـداعـيـنَ إلى الإصْـلاحِ الاجتماعِيِّ .

ولكنَّ الَـذي حـدَثَ ـ ومـا زالَ يحـدثُ حتَّى الآنَ ـ أنَّ دُعـاةَ التحـرُّرِ والاِنْحـرافِ الخُـلقيِّ أَسـاؤُوا شَـرْحَ بعضِ الفَقـراتِ الَتي وَرَدتْ فِي مؤلَّفـاتِ (سـارْتـر)، كمَـا أنَّهم استَشْهـدوا

بِبعض عِبَـاراتِـه ، دونَ أنْ يـذكـروا علَى أيِّ لسانٍ وردَتْ تِلكَ العبارَةُ أوْ بأيَّةِ مناسَبَةٍ .

ومِنَ الأُمورِ المُسلَّمِ بِها أنَّ الاستشهـادَ بجزءٍ مِنَ النَّصِ المُتكامِلِ يُعتبرُ استشهاداً باطلاً .

إنَّ كُـلَّ مَنْ يحـاوِلُ أنَّ يسبُـرَ غـوْرَ فلْسَفـةِ (سارتر) يقتنِعُ بأنَّهُ رجلٌ لَهُ مبادِئُهُ .

إنَّ فلْسَفـةَ (جانْ بـولْ سارْتـر)، أوْ مـذْهبَ الـوُجودِيَّـةِ الفَرنسِيَّـةِ ، كانَ ذريعـةً للدَّعـوةِ الى الانحلالِ الخُلُقِيِّ ، لَجأَتْ إليْهِ طائِفَتـان ظهرَتـا خـلالَ الستينـاتِ والسبعينـاتِ مِنَ القـرْنِ العِشْرين .

إحْـدى هـاتَينِ الـطائِفتينِ تنْتمي إلى مـذهَبِ الملاحدةِ الـذين لا يؤمِنونَ بـوجودِ اللهِ سُبحـانَهُ وَتَعـالى ، وبالتَّـالي فهُم لا يؤمِنـونَ بـالآخِـرة ، ولا بالثَّوابِ علَى الأعمالِ الطيبّةِ والعقابِ على السيئـاتِ ، وفِي رأيهمْ أنَّ الإنسـانَ ليسَ لـهُ إلاَّ

دُنياهُ ، فعليْهِ أنْ يعيشَها بالطولِ وبالعرضِ وبالعمقِ ، بغضِّ النَّظرِ عن المستنقعاتِ الخُلقيّةِ أوِ الأوحالِ النفسيَّةِ التي تمتدُّ اليْها هذه الأبعَادُ الثلاثةُ .

أمّا الطائفةُ الثانيةُ فَهُمُ الَّذينَ لا يؤمنونَ فيما بينَهُمْ بأنَّ فلسفةَ (سارتر) تدعو إلى الانحلالِ الخلقيِّ ، ولكنَّهُمْ يَسعونَ قدْرَ طاقَتِهِمْ إلى العملِ على نشرِ مفهومِها الخاطىءِ بينَ مجتمعاتٍ إنسانيّةٍ يكنّونَ لها العداءَ ، ويريدونَ لها الإنهيارَ .

هذه الفئاتُ كلُّها تعمدُ إلى ترويجِ المبادىءِ الفاسدةِ بينَ المجتمعاتِ التي تُخفي لها العداءَ، كسلاحٍ خبيثٍ لتفكُّكِ هذهِ المجتمعاتِ تمهيداً للتغلّبِ عليها ، وبالتالي السيطرةِ على مصائرِها .

والطريقةُ المُثلى لتقويةِ هذهِ الإنحرافاتِ هوَ

الادعاءُ بأنَّها مبدأٌ فلسفيٌّ ، وليسَتِ انحرافاً .

وقد استسلمَ عددٌ غيرُ قليلٍ لهذا السّلاحِ الخبيثِ ، فظهرَتِ الحركةُ المسماةُ بالخنافسِ ، ثم الحركةُ الأخْرى المسمّاةُ بالهيبيز ، وكلٌّ منِ انتمى إلى هاتينِ الحركتينِ المنحرفتينِ يعتقدُ أنَّه إنّما يسيرُ في الطريقِ الصحيحِ الذي من أجلِهِ خُلقَ ! . . فيتركُ شَعْرَهُ مرْسَلاً أشعثَ قذِراً ويمشي حافيَ القدمينِ ، ويرتدي الرثَّ منَ الثياب ! .

ويا ليْتَ الأمرَ يقتصرُ على المظهرِ فحسبُ ، بلْ إنَّهُمْ يطلقونَ لغرائِزِهِمُ العنانَ ، فلا تتمسّكُ أيّةُ فتاةٍ منهنَّ بالشرفِ ، وتمتهنُ أنوثتَها ، وينغمسُ الجميعُ في الإدمانِ على شتّى أنواعِ المخدّراتِ والخمرِ .

وتكونُ النتيجةُ المحتومةُ التي لا مفرَّ منها ، أن يحكمَ هؤلاءِ على أنفسِهِمْ بالضَّياعِ ، أو

بالإعدامِ المعنويِّ والنفسيِّ .

.. *** ..

تلكَ نبذةٌ عابِرةٌ كانَ لا بدَّ منها ما دمْنا في صددِ الحديثِ عنِ الفيلسوفِ الفرنسيِّ (جان بول سارتر) وهوَ منْ أشهرِ فلاسفةِ القرنِ العشرينَ ، وهوَ أيضاً من أكثرِ الفلاسفةِ تعرّضاً للتقوّلِ عليْهِ ولتحريفِ آرائِهِ ونظريّاتِهِ التي نادى بِها .

.. *** ..

قبلَ أن نختتمَ هذا الفصلَ لا بدَّ لنا منَ الإشارةِ إلى أنَّ (جان بول سارتر) كرائدٍ للوجوديّةِ الفرنسيّةِ الحديثةِ قدْ تأثّرَ إلى حدٍّ كبيرٍ بآراءِ الفيلسوفِ الألمانيِّ (نيتشه) التي تدعو إلى الإلحادِ وإنكارِ وجودِ اللهِ تباركَ وتعالى .

ويعتقدُ البعضُ ـ وهُمْ قلّةٌ ـ أنَّ إنكارَ وجودِ اللهِ جلَّ شأْنُهُ كانَ يقصِدُ بهِ (سارتر) ضرورةَ

عـزمِ الإنسانِ على اعتمـادِهِ على نفسِهِ فحسبُ إذا أرادَ أن يسمـوَ بـأخـلاقِـهِ دونَ الإلتجـاءِ إلى التـواكـلِ الـذي يبـعثُ الـوهـنَ في قـلوبِ المتدينينَ .

ولعـلَّ وجهـةَ النـظرِ هـذِهِ هيَ الَّتي ساعَدتِ الملحـدين ودُعاةَ الانحـلالِ الخُلقيِّ إلى جعلِ فلسفةِ (سارتر) منطلقاً لتحقيقِ أهدافِهِمْ .



طفولتُه وشبابه

لا يُعرفُ الشيءُ الكثيرُ عنْ والِدِ (جان بول سارتر)، ويبدو أنَّ تأثيرَ الأبِ على ابنهِ كانَ ضئيلاً ، اللهمَّ إلاّ إذا كانَ الابنُ قد ورثَ عنْ أبيهِ بعضَ الصفاتِ المميَّزةِ ، الَّتي كانَ لَها فيما بعدُ أثرُها في إنماءِ عبقرية (جان بول سارتر) .

على أية حال مِنَ الأحوالِ . . العبقريةُ لا تورثُ . . ولقدْ سبقَ أنْ ناقشْنا ذلكَ بشيءٍ منَ التفصيلِ في أكثرِ من كتابٍ منْ كتبِ هذهِ السلسلةِ .

ولكنَّ البيئةَ الَّتي ينشأُ فيها العبقريُّ ،

ويشبُّ ويترعرعُ لها أثرُهـا وتأثيرُها العظيمانِ في العمـلِ على تفتُّـحِ بـرعمِ العبقـريَّـةِ وازدهارِهِ .

ولـدَ (جان بـول سارتـر) في أسرةٍ متـوسطةِ الحـالِ ، كانتْ تقيمُ في أحـدِ الأحياءِ الشعبيَّـةِ في مدينةِ باريس بفرنسا وذلك في سنـةِ ١٩٠٥ ميـلادية ، ولا يعـرفُ أحـدٌ إنْ كـانَ وحيـدَ والديهِ ، أم كانَ له إخوةٌ أوْ أخواتٌ .

ولكنَّ المعـروفَ أنَّ أبـاهُ مـاتَ حينَ كـانَ (جانُ) في الثانية منْ عمرِهِ .

أما أمُّهُ ، فكانتْ سيدةً فـاضلةً ، تتمتَّعُ بقـدرٍ موفورٍ منَ الجمـالِ ، وكانتْ تنحـدِرُ من أسرةٍ الزاسية محـافظةٍ لهـا مـركـزُهـا المـرمـوقُ في المجتمعِ الباريسيِّ .

وإنْ كـانَ لأحـدٍ فضـلٌ على (جَـان بـول سارتر) في تعهّدِه برغم عبقـريتِهِ ، فـالفضلُ في ذلكَ يرجعُ لأمِّهِ .

حينَ مـاتَ والـدُ (سـارتـر) كـانَتْ أمُّـهُ في ربيـعِ شبـابِهـا ، فلمْ تشـأْ أنْ تعيشَ هيَ وابنُها الصغيـرُ في الشقَّـةِ الَّتي كـانـتْ تقيمُ فـيهـا ببـاريس ، حتى لا يتقـوَّلَ النـاسُ علـيْهـا ، فحملتِ ابنَهـا (جـان) ، وذهبتْ لكي تعيشَ في منزلِ والِدِها .

كـان جـدُّ (جَـان) لأمِّـهِ رجـلاً على جـانبٍ عـظيمٍ منَ الثقـافـةِ ، كمـا كـان عـطوفـاً كبيرَ القلب ، فـأحـاطَ (جـان) ، بفيضٍ منَ الحبِّ والحنانِ ، وكانَ ينحدرُ منْ أسـرةٍ ألـزاسيـةٍ ، يجـري في عروقـهِ الدَّمُ الألمـانيُّ رغم جنسيَّتِـهِ الفرنسيةِ .

كـان هـذا الجـدُّ يُـدعى : (شــويتزر : Schweitzer) وهــو ابـن عـم الــفـيـلـســوف الألـمــاني : (ألـبــرت شويتزر : Albert Sehweitzer) .

وكـانتْ تربطُ بين الـرجلينِ علاقـةٌ متينـةٌ منَ الصـداقـةِ والــودِّ المتبـادَل عــلاوةً على رابـطةِ الدمِ .

كانَ الفيلسوفُ (ألبرت شويتزر) يتردَّدُ كثيـراً على منـزلِ جـدِّجـان ، كمـا كـانَ يعـرفُ أبـاهُ معرفةً وثيقةً ، لذلـك فإنَّـهِ تألَّمَ كثيـراً حينَ علم بموتِهِ .

وأُعجبَ هذا الفيلسوفُ بذكاء الطفلِ (جـان بـول سارتـر) وتفتّحِ ذهنِـهِ ، فكانَ كلَّمـا ذهبَ إلى بـاريس ليزورَ جـدَّ (جـانَ) ، يقضي وقتـاً طويلاً في التَّحدثِ معَ الصبيِّ الصغيـرِ ويناقشُـهُ كما لو كانَ يناقشُ رجلاً ناضجاً .

وما منْ شكٍّ في أنَّ (جانَ بول سارتر) تأثَّر بهذا الفيلسوفِ (ألبرت شويتزر) تأثراً عظيماً .

انَّ كلَّ طفلٍ تمرُّ بهِ فترةٌ يُسمِّيها بعضُ علماءِ التربيةِ بفترةِ (عبادة البطَل - Hero worship) .

ومعنى عبادَةِ البطلِ أنَّ الطفلَ وهوَ يسعى فطريّاً إلى تكوينِ شخصيةٍ مستَقلةٍ لنفسِهِ ، يتّخذُ لهُ مثلاً أعلى يتمنى في قرارةِ نفسِهِ أنْ يكونَ على شاكلتِهِ في مستقبلِ حياتِهِ .

.. *** ..

والطفلُ عادةً يتَّخِذُ منْ أبيهِ هذا المثلَ الأعلى ، ذلكَ إذا كانَ الأبُ شديدَ الآلتصاقِ بالطِّفلِ ، مهتماً برعايتِهِ ، حريصاً على أن يكونَ في نظرِهِ قدوةً حسنةً ليقتديَ بها .

أما إذا أهملَ الأَبُ تلكَ الرِّعايةَ العاطفيَّةَ ، وألهتْهُ مشاغلُ الحياةِ ، وحسبَ أن قيامَهُ بالواجباتِ الماديَّةِ تجاهَ أولادهِ يغنيهِمْ عنْ رعايتِهِ العاطفيَّةِ ، فإنَّ الابنَ سوفَ يبحثُ حتماً عنْ مَثَلٍ أعلى آخرَ غيرِ الأبِ ليرنُوَ إليهِ بعين الأملِ خلالَ الفترةِ المسماةِ بفترةِ عبادةِ البطلِ .

وقد يُسيءُ الابنُ الاختيارَ ، فيكونُ لذلكَ أسوأُ الأثرِ على شخصيتِهِ وبالتَّالي على مستقبلِهِ .

لقدِ التقى (جَان بول سارتر) الصبيُّ الصغيرُ ، بالفيلسوفِ الألماني (ألبرت شويتزر)، وكانَ أبوهُ قد ماتَ ، ولاحظَ احترامَ أهلِ البيتِ لذلكَ الفيلسوفِ وتمجيدَهُمْ إياهُ ، فاتَّخَذَه بطلاً أو مثلاً أعلى يصبو إليهِ . .

وشجّع (جان بول سارتر) على ذلكَ

الحنانُ الَّـذي كـان يُسبِغُـه عليـه كـلٌّ منْ جـدِّهِ و (شويتزر) .

ويجـدرُ بنـا أنْ نستعـرضَ في إيجـازٍ مـركَّـزٍ بعضَ النَّـواحي الشخصيَّـةِ في حيـاةِ الفيلسـوفِ (شويتزر) الَّتي كانتْ لها انعكاساتُهـا على حياةِ (جـان بول سـارتـر) وعلى آرائِـهِ ونـظريـاتِـهِ الفلسفيَّةِ .

وُلِـدَ (شويتزر) في سنـةِ ١٨٧٥ ميـلاديـةٍ ، في بلدةٍ تقـعُ بشمالِ إقليمِ (الألـزاس) ، كانَ اسمُها :

(كيسرسبرغ Keysers berg) .

وكانَ ولوعاً بالعلمِ والدراسةِ ، فحصـلَ على درجـتي دكـتـوراه في الـفلسـفـةِ وفـي عـلمِ اللاهوتِ Theology .

ودرسَ (شويتزر) فـوق ذلـكَ المـوسيقى دراسةً عميقةً ولهُ فيها مؤلفاتٌ قيِّمةٌ .

إلاّ أنَّ أبرزَ وأعظمَ ، ما كانَ يمتازُ بِهِ ذلكَ الفيلسوفُ الألمانيُّ ، هو عطفُهُ الشَّديدُ على الضعفاءِ .

وكانَ يرى انَّ أقْسىٰ مصيبةٍ تلحقُ بالإنسانِ هيَ أَنْ يُصابَ بالمرضِ ، ويطولَ أمدُ مرضِهِ لعدمِ قدرتِهِ على دفعِ نفقاتِ العلاجِ .

لذلكَ ، فَقدْ كانَ (شويتزر) شديدَ العطفِ على العمالِ والفلاحين بصفتِهِمُ الطبقةَ الكادحةَ الَّتي لا تربحُ منَ المالِ إلاّ ما يُسَدُّ بهِ الرمقُ ، فإذا مرضَ العاملُ أوِ الفلاّحُ لنْ يجدَ المالَ الَّذي يعالجُ بِهِ نفسَهُ ، فيَسْتَسْلِمُ للمرضِ ، وينقلُ العدوى إلى غيرهِ ، مِنَ العمالِ أوِ الفلاحينَ ، وتشتدُّ وطأةُ الفاقةِ على أُسرةِ العاملِ أوِ الفلاّحِ .

كَانَ شويتزر يتحدَّثُ كثيراً عنْ ذلكَ ، وعَنْ رغبتِهِ في الالتحاقِ بكليَّةِ الطبِّ لكي

يصبحَ هوَ نفسُهُ طبيباً يتبرَّعُ بعلاجِ فقراءِ المرضى .

وبالفِعل ، درسَ الفيلسوفُ الطيبُ القلبِ الطبَّ وأصبحَ طبيباً ، وسافرَ إلى أفريقيَا الفرنسيةِ الاستوائيةِ ـ وهيَ الَّتي أصبحت تسمّى « غابون Gabon» بعد أن نَالتِ استقلالَها ، وهناكَ أسّس مستشفىً خيرياً كبيراً ليعالج المرضى من الجنودِ الفرنسيين ، ومن أهالي البلاد على حدٍّ سواءٍ . .

واتَّخذَ (جان) منْ هذا الفيلسوفِ مثلاً أعلى ، وأحسّ بالعطفِ الشديدِ على الطبقاتِ الكادحةِ ، كما كرهَ مظاهرَ الدُّنيا الزائفةَ الزائِلَةَ ، وعشقَ الصراحَةَ واحتقرَ النفاقَ . . . النفاقَ الَّذي يتبرقعُ بهِ كثيرونَ منْ أصحابِ الثروةِ أوِ النفوذِ .

كلُّ هذهِ الملامحِ أوِ المؤثراتِ ، ظهرتْ

بـوضـوحٍ في جميـعِ مؤلفـاتِ (جـان بـول سـارتـر)، تلكَ المؤلفـاتِ الّتي أفصحتْ عن آرائِهِ ونظرياتِهِ الفلسفيةِ .

.. *** ..

كانتْ أمُّ (جان بـول سارتـر) مرهفـةَ الحسِّ بـطبيعتهـا ، فكـانتْ تتـألَّمُ لأنَّهـا حمّلتْ أبـاهـا عبئَها وعبءَ طفلها .

وحينَ بلغَ (جـان) الحـاديـةَ عشـرةَ منْ عمرِهِ ، تزوجَتْ أمُّهُ مرةً أخرى .

انهـا لمْ تتزوّجْ إلاّ بعـدَ أنْ وثِقَتْ ثقـةً تـامـةً في أنَّ الـرجلَ الّـذي اختارتْـهُ ، سـوفَ يعـامِـلُ ابنَهَا كما لو كانَ ابنَهُ أيضاً .

ومِنْ حسنِ حظٍّ (جـان بول سـارتر) أنَّ أمَّـهُ كـانتْ صادقَـةَ الحكمِ على الـرجـلِ الّـذي رضيتْ أن يكـونَ زوجاً لهـا بعـد مـوتِ زوجِهـا الأولِ .

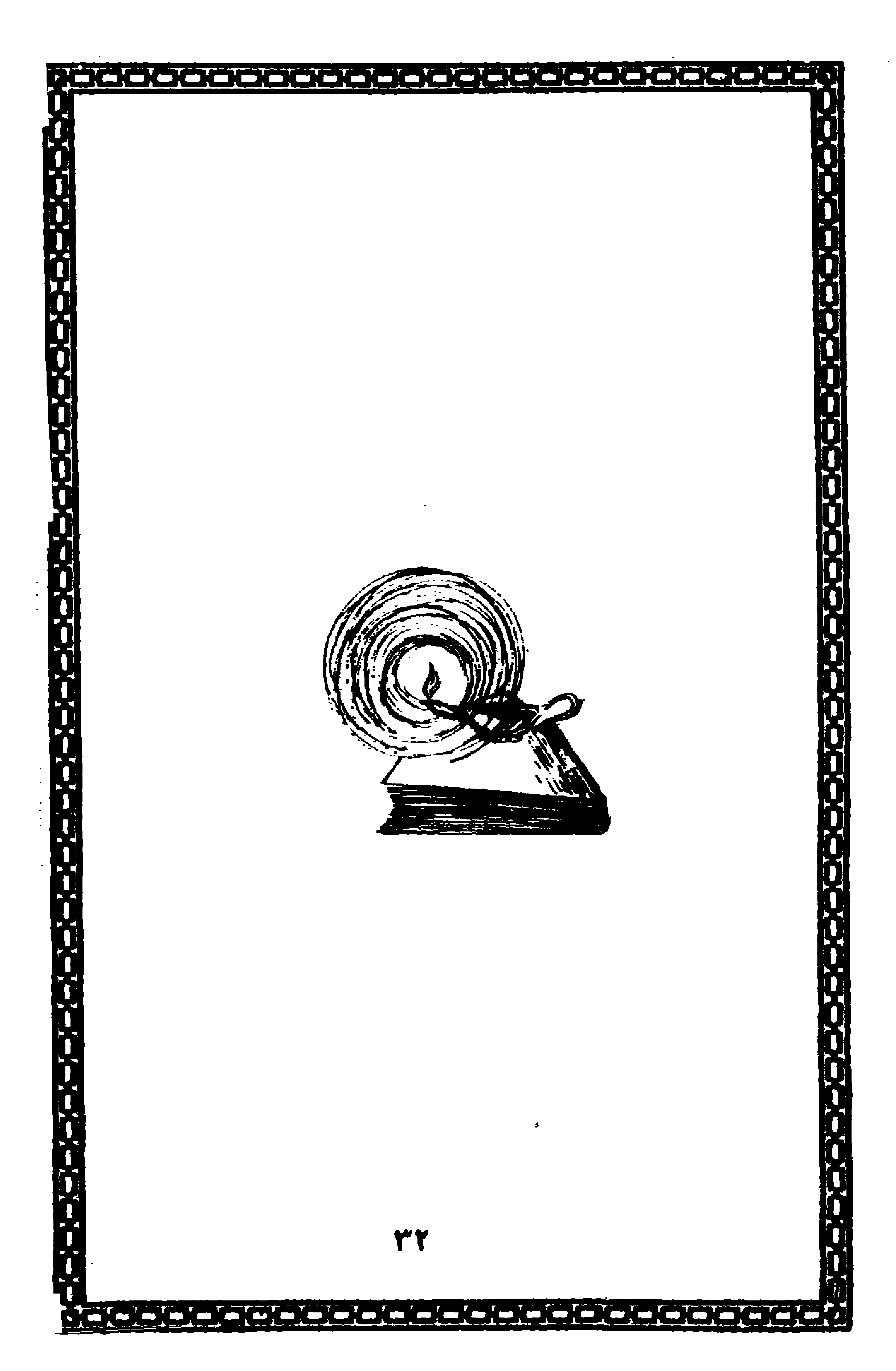
وعـامَلَهُ زوجُ أمِّهِ معـاملةً كـريمـةً ، وشجّعَـهُ على أنْ يـواصـلَ دراستَـهُ حتى ينتـهيَ مـن المرحلةِ الجامعية ، ولم يبْخَلْ عليه بالعـطفِ أو بالمالِ .

***

عـلاوة على مـا ذكـرنـا من أنَّ (جـان بـول سارتر) قد تأثّرَ بوجهـةِ نظرِ الفيلسـوف الألماني (شويتزر)، فقـدْ تأثَّـر أيضاً بفيلسـوفٍ ألمـانيٍّ آخـرَ هـوَ : (إدمـونـد هـاسـرل Edmund Husserl)الذي مات سنةَ ١٩٣٨ ميلاديةً .

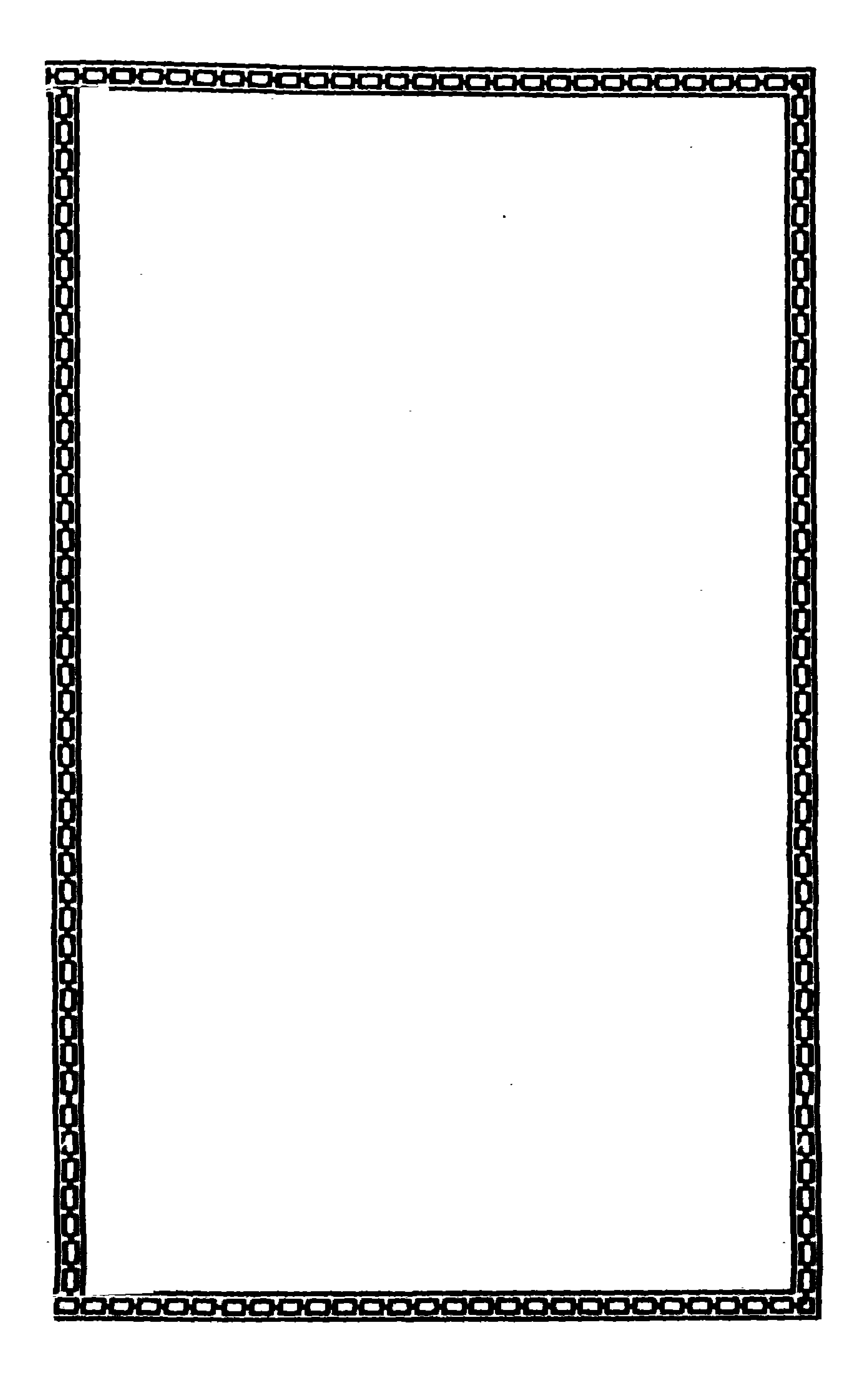
ويؤكـدَ بعضُ النقادِ أنَّ نـظرياتِ (سـارتـر) من الـوجوديـةِ استلهمَهَا من فلسفـةِ (هاسـرل) الَّـذي يعتبرُهُ الكثيـرونَ على رأسِ روّادِ مذهبِ الوجوديةِ الحديثة .

وسنعرِضُ لهذَا الأمرِ فيما بعدُ .



الفصل الثاني

ما هِيَ الوجُوديَّة ؟



ما هيَ الوجودِيةُ ؟ . .

إنَّ الإجـابـةَ عـلى هـذا السُّؤالِ ليستْ بالسُّهولَـةِ الَّتي يتصورُهـا الكثيرونَ ممَّنْ سمِعـوا عنِ الـوجـوديـةِ ، أو ممَّنْ قـرأُوا عنْهـا بعضَ القراءاتِ العابرةِ .

ويجـدرُ بنا قبـلَ التَّصدِّي لـلإجابـةِ على هذا السُّؤالِ انْ نُلفتَ الأنـظارَ إلى انَّ الـوجـوديـةَ كمـذهبٍ أو كنظريـةٍ فلسفيَّةٍ ليستْ بمعـزلٍ عمَّا سبقَهـا منْ نظريـاتٍ فلسفيَّـةٍ أخـرى ، عَن كُنـهِ الإنسـانِ ، وسببِ وجـودِهِ على ظهـرِ كـوكبِ الأرضِ ، والأهميـةِ المتبـاينَـةِ للرُّوحِ والعقـلِ والجسمِ ، ومـا عـدا ذلـك منْ مبـاحثَ أخـرى كـانتْ مـوضـعَ دراسـاتٍ عميقـةٍ منذُ عهـدِ

الفيلسـوفِ الاغـريقيِّ (سقـراط) إلى مـا بعــدَ الفيلسـوفِ الفـرنسيِّ (رينيـه ديكـارت)، وقـدْ شرَحْنا كلَّ ذلكَ بشيءٍ منَ التفصيلِ في الكتبِ الَّتي صـدرتْ عنْ هؤلاءِ الفلاسفـةِ ـ ضمْن هذِهِ السِّلسلَةِ : « عباقرةُ خالدونَ ».

إنَّ الفكـرةَ العامَّـةَ عنِ الوجـوديةِ في العصـرِ الَّـذي نعيشُ فيـهِ فكـرةٌ سيئـةٌ ، إذْ يـوجـدُ شبـهُ استهجـانٍ جمـاعيٍّ منَ الـرأيِ العـامِّ لمــذهبِ الوجوديَّةِ .

وهـذا الاستهجانُ ليسَ مقصـوراً على الشرقِ والأمَّــةِ العـربيــةِ بسببِ التقـاليـدِ والمبــادىءِ الدينيَّةِ ، ولكنَّهُ يشملُ أيضاً قطاعـاتٍ واسعةً منَ الرّأيِ العامِّ الغربيِّ .

والـدَّليلُ على ذلـكَ مـا ذكـرَهُ أحـدُ أسـاتـذةِ الفلسفـةِ في انكلتـرا وهــوَ (الـدكتــور غـوردن بـيجـلو Dr Gordon Bigelow) اذْ قــالَ عـنِ

الوجوديَّةِ :

« لبثتُ بضعَ سنواتٍ وأنـا أجاهِـدُ ضدَّ كلمـةِ (الوجوديةِ) أنظُرُ إلى ناحيةٍ أخرى كلَّما تعثَّرْتُ بـها ، ولكنَّ الوجـوديةَ على مـا يبْدُو أعـظمُ منَ الصـورةِ الَّتي تجسَّـدُهـا اللّحى غيـرُ الممشَّـطَةِ والـوجوديـونَ الفرنسيـونَ الَّذينَ يستمتعونَ فيمـا بينَهُمْ بين رشفـاتِ (الأبستث) ـ وهـو شـرابٌ قـويٌّ يُغيِّبُ الـوعيَ ـ تحتَ ظـلالِ اليـأسِ القاتمِ » .

لقدْ أساءتْ حركتا الخنـافسِ والهيبيزَ إسـاءةً كبيرةً إلى فلسفةِ الوجوديَّةِ .

إنَّ الكتـابـةَ عنِ الـوجـوديـةِ في شيءٍ منَ الايجـازِ أمرٌ بـالـغُ الصُّعـوبـةِ ، ولكنَّنـا سنبـذُلُ جهدَنا لنجعـلَ إيجازَنـا مركَّـزاً في هذا الفصـلِ مِنَ الكتاب .

إنَّ دراسـةَ فلسفـةِ الـوجـوديَّـةِ لهَـا أهميَّتُهـا

الكبرى في كثيرٍ منْ نواحِي المعرفةِ الإنسانيّةِ .

إنَّها ضروريَّةٌ لمنْ يدرسونَ الآدَاب والفنونَ والفلسفَةَ وعلمَ اللاهوتِ .

ومن ناحيةٍ أخرى ، لها علاقَتُها الوثيقةُ بالعلومِ الاجتماعيَّةِ Social Sciences .

هناكَ مذاهبُ متعددةٌ في الفلسفةِ الوجوديَّةِ ، ولكنَّ الباحثينَ قسَّمُوها إلى مذهبينِ رئيسيينِ :

المذهب الأول : الوجودية الَّتي لا تجعلُ لِلهِ عزَّ وجلَّ دخلاً في تصرُّفاتِ وسلوكِ الإنسانِ وكأنَّها تُنكِرُ وجود الخالِقِ تباركَ وتعالى ، ولذلك فهم يُسمُّونَها « الوجودية اللاّ إلهية Ungodly existentialism ..

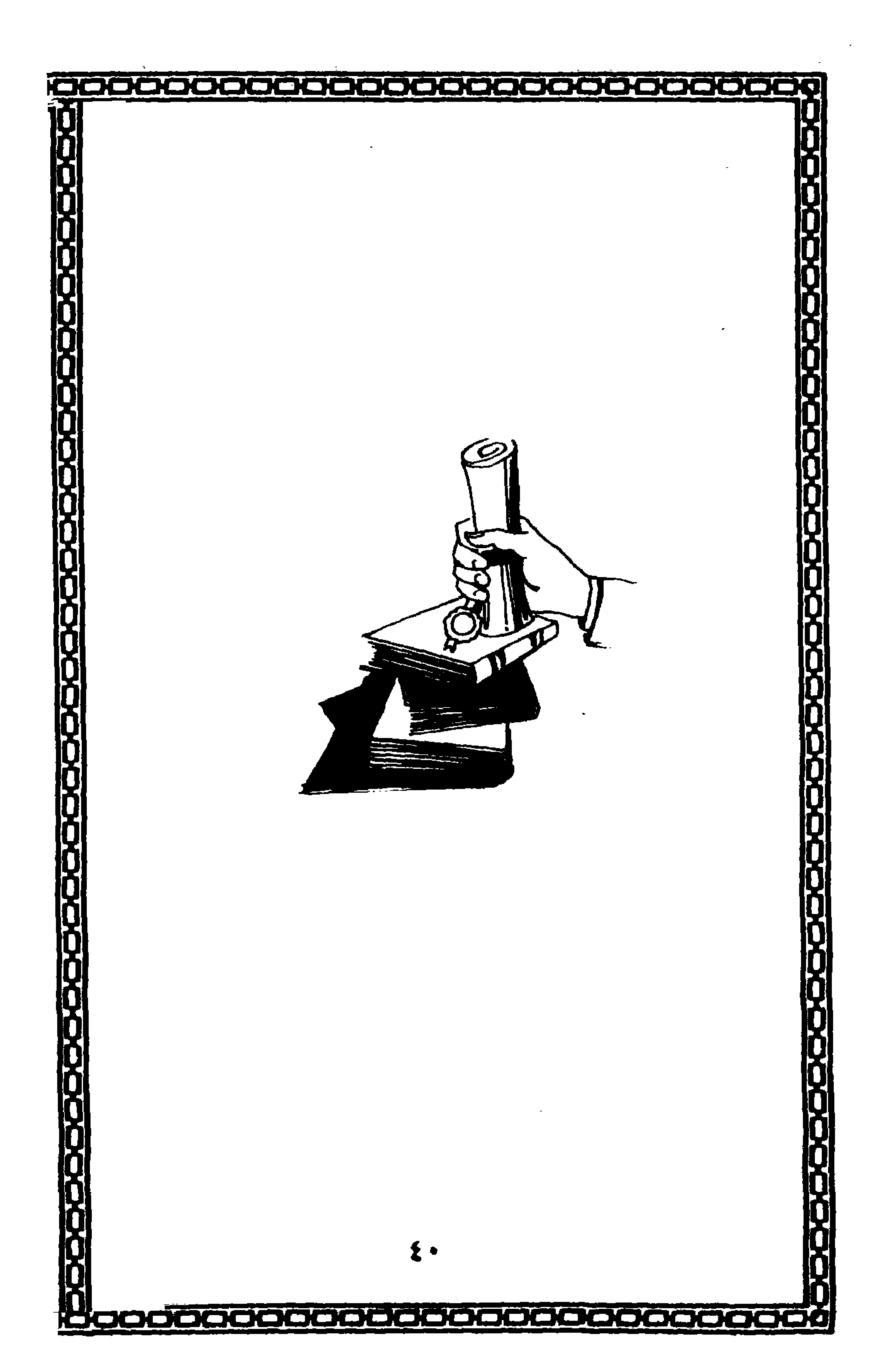
المذهب الثاني : الوجوديةُ الَّتي تعترفُ بوجودِ اللهِ جلَّ شأنُهُ ، وانَّه بثَّ في الإنسانِ

الرُّوحَ وَوهبَهُ العقلَ ليمَيِّز الخبيثَ منَ الطيِّب .

ويندرِجُ تَحتَ مذهبِ الوجوديَّةِ اللاّ إلهيةِ كلٌّ منْ (جان بول سارتر) والكاتبةِ الفرنسيةِ (سيمون دي بفوار Simone de Beauvoir) ، و(ألبيركامو Albert Camu).

ويندرجُ تحتَ المذهبِ الثَّاني وهُوَ الوجوديَّةُ الإلهيةُ كلٌّ مِنَ الفيلسوفِ الدانماركي (سورين كيركغارد. Soren Kierkegaard) والفيلسوفيْنِ الفرنسيّين : (غابريل مارسيل : Gabriel Marcel)و(جاك ماريتين J . Maritain)وهما كاثوليكيان ، وآخرينِ يدينان بالمذهب البروتستنتيٍّ هما : (بول تيليش Paul Tillich) و (نيقولا بردياف Nicholas Berdyaev).

.. *** ..



الحرب والفلسفة الوجودية

كانَ للحربِ العالميَّةِ الثَّانيةِ أثرُها العظيمُ على ما يُسمَّىٰ حالياً بفلسفةِ الوجوديَّةِ الفرنسيَّةِ .

لقدِ انهزمتْ فرَنْسا شرَّ هزيمةٍ مِنْ ألمانيا النازيَّةِ ، واحتلّتِ الجيوشُ الألمانيَّةُ قِسْماً كبيراً مِنَ البلادِ الفَرنسيَّةِ ، كما احتلَّتِ العاصمةَ باريسَ .

وطغىٰ اليأسُ على نفوسِ السَّوادِ الأعظمِ مِنَ الفرنسيِّينَ .

ولكنْ ، كانتْ هناكَ نسبةٌ غيرُ قليلةٍ مِنَ المثقفينَ والعسكريين الَّذين رفضوا الاعترافَ

بالهزيمةِ ، وبكونِها القضاءَ المبرمَ على فرنسا باعتبارِها دولةً عظمى ، وقالُوا إنَّ الحربَ سِجَالٌ ، ومَا حدثَ لم يكنْ سوى معركةٍ لها ما بعدَها ، وأنّ الجيشَ الفرنسيَّ إذا كانَ قد هُزمَ أمامَ جحافلِ النازيينَ ، فالشعبُ الفرنسيُّ لَمْ ولَنْ يهزَمَ أبداً ، ولوِ اضْطُرَّ الى أنْ يحاربَ لآخرِ رجلٍ ، بلْ لآخرِ امرأةٍ أو طفلٍ أو شيخٍ .

وذهبَ (شارل ديغول) إلى لندن ، ومنْ هناكَ أعلنَ قيامَ حركةِ « فرنسا الحرة » .

وسرعانَ ما انضمَّ إلى هذِهِ الحركةِ كبارُ الكتَّابِ ومنْهُمْ (جان بول سارتر) و (سيمون دِي بوفوار) .

ونجحَ جهادُ (ديغول) كما هوَ معروفٌ ، ثمَّ انتهتِ الحربُ بهزيمةِ ألمانيا ، وعادتْ إلى

فرنسا مكانتَها الدوليةَ العظيمةُ[1] .

وبعد انتهاءِ الحرب ابتدأتْ ملامحُ الوجوديَّـةِ الفـرنسيـةِ تتَّضِـحُ للرَّأْيِ العـامِّ الفـرنسيِّ ، ثمَّ اجتازتِ الحدودَ بعـدَ ذلكَ الى الـدُّوَلِ الأوروبيَّةِ الأخرى وسائرِ أنحاءِ العالم المتمدنِ .

كـانَ أبرزُ مـا في هـذِهِ الفلسفـةِ أنَّ الإنسـانَ يجبُ أنْ تكـونَ روحُهُ المعنـويةُ قـويةً لا تعـرفُ الضعفَ أوِ الـوهَن ، فـإذا فُـرِضَ عليـهِ الـذلُّ فرضاً لا يستسِلمُ لـهُ بأيَّـةِ حالٍ مِنَ الأحـوالِ ، بـلْ يجِبُ أنْ يقـولَ : .. لا ... لا .. لا .» ويرفعَ رأسَـهُ شامخـاً مهما كـانتِ الظروفُ ، ولا يفـرِّطُ أبـداً في حـرِّيَّتِـهِ الشخصيَّـةِ أوِ استقـلالِ وطنِهِ .

.. *** ..

---

(١) تفصيلات ذلك في كتاب (ديغول) احد كتب هذه السلسلة لنفس المؤلف ونفس الناشر .

يقـولُ عـددٌ كبيـرٌ مِنَ البـاحثين والنُّقّـادِ إنَّ لفـظَةَ « لا » هي حجـرُ الأسـاسِ ، أوِ العمـودُ الفِقريُّ لمذهبِ الوجوديَّةِ الفرنسيَّةِ .

انَّ الوجوديَّةَ الفرنسيَّـةَ الَّتي يُعْتَبرُ (جـان بول سَارتر) رائـدَها الأولَّ ، هيَ في الحقيقـةِ نسخةٌ أخـرى عنْ مضمونِ فلسفَـةِ (رينيه ديكـارت) ، ولكنَّها اتخذتْ طابعَ القرنِ العشرينَ .

إنَّ (ديكــارتَ) كمـا هُــوَ معــروفٌ لخَّصَ فلسفَتهُ في عبارتِهِ المشهورةِ الَّتي تقولُ :

« أنا أفكِّرُ . . إذن . . أنا موجودٌ » .

أما مضمونُ فلسفةِ (سارتر) فهو :

« يمكنُني أنْ أقولَ « لا » إذنْ فأنا موجودٌ » .

معنى ذلـكَ أنَّ القدرةَ على التَّفكيـرِ لا تقْوىٰ وحـدَهـا على إيجـادِ الإنسـانِ القـويِّ في هـذِهِ الحيـاةِ ، ولكنَّ قـوَّةَ هــذا الإنسـانِ تتجلّى في

قـدرتِـهِ الـذاتيَّـةِ على أنْ يقـولَ « لا »، مُفضِّـلاً كرامتَهُ على حياتِهِ .

ولا يخفى ما في هـذا القـولِ من الإشادةِ بالبطولـةِ والتمسُّكِ بـالمثلِ العليـا والاستخفافِ بـالوجـودِ المادي لـلإنسانِ ، لأنَّ رفضَ الضَّيمِ والمـذلَّةِ رغمَ كـلِّ المخـاطِـرِ الَّتي تكتنِفُ مثـلَ هــذا الـرفضِ ، إنَّمــا يـدُلُّ على قــوةٍ ذاتيَّــةٍ معنويَّةٍ .

ومنْ نـاحيةٍ أخرى فالـدَّعوةُ إلى اتبـاعِ هـذا المسلكِ هيَ في نفسِ الـوقتِ دعـوةٌ صــريحـةٌ لنبذِ التهافتِ الماديِّ على الحَياةِ الدنيويَّـةِ ، في سبيلِ الاستمساكِ بأعظم المبادىءِ وأسماها .

.. ..

إنَّـنــا إذا ألقَـيْنـا نـظرةً عـلى بعضِ الآراءِ الفلسفيَّـةِ القـديمـةِ ، كـالآراءِ والنَّظريـاتِ الَّتي ذكـرهَـا الفيلســوفُ الإغــريقيُّ (افــلاطـون

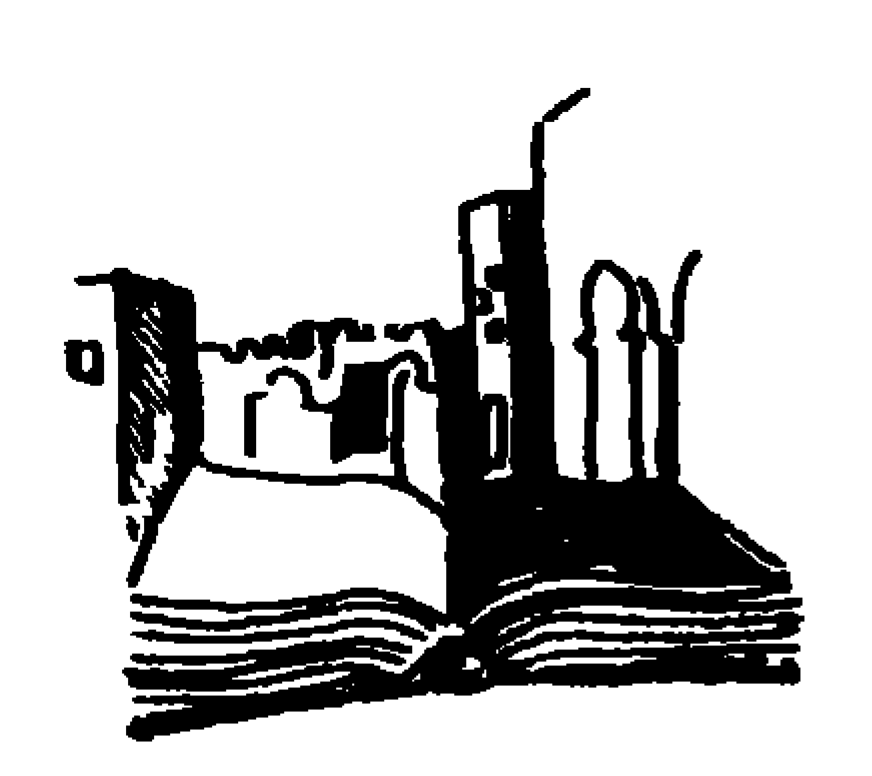
Plato)، لَاقْتَدَيْنَا بالحكمةِ الَّتي تقولُ : « لا جديدَ تحتَ الشمسِ » .

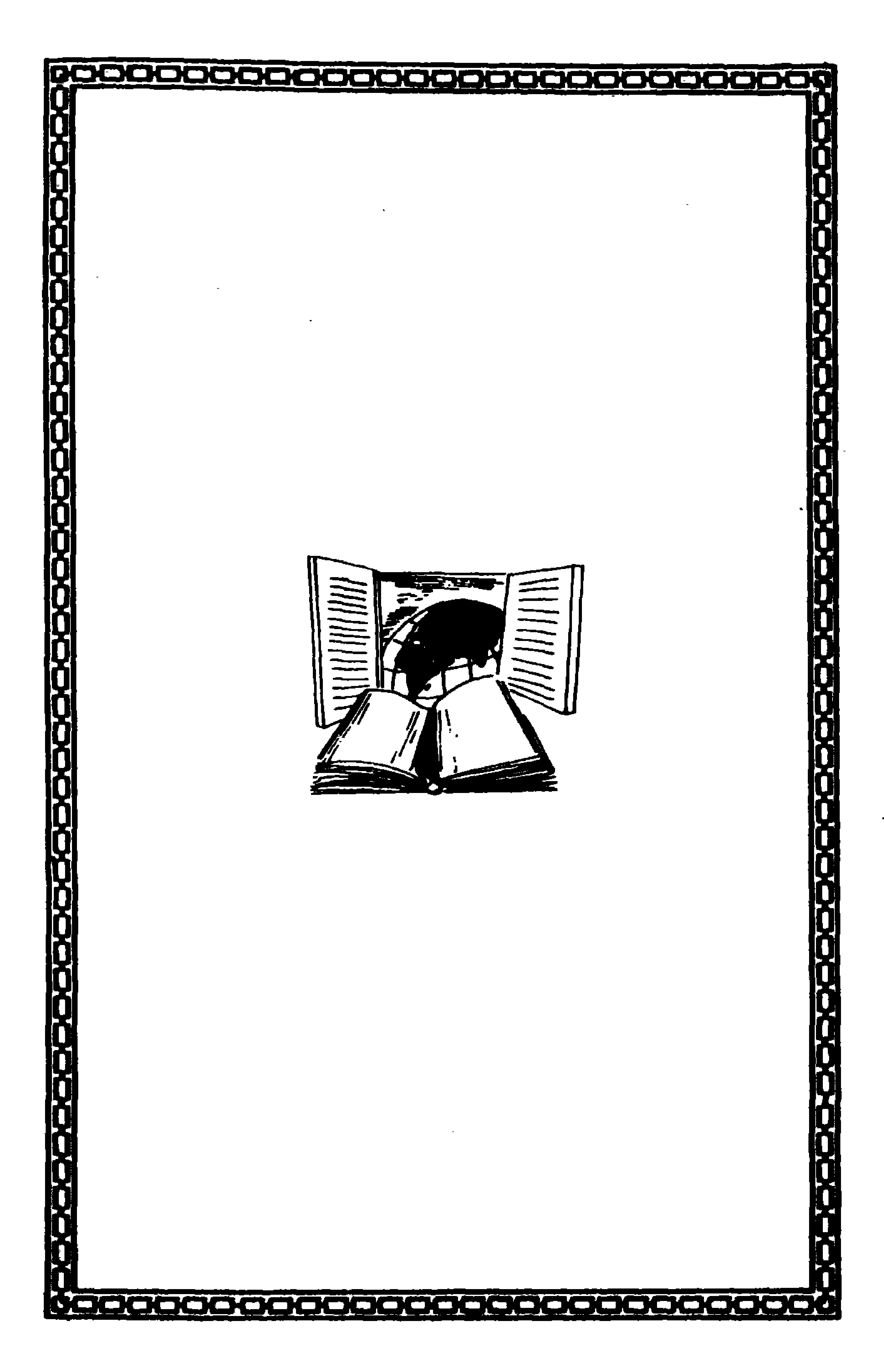
لقد دعا (سقراطُ) ومنْ بعدِهِ كلٌّ منْ (أفلاطون) و(أرسطو) إلى وجوبِ تمسُّكِ الإنسانِ بالفضائِلِ المحمودَةِ ، وعدمِ المبالاةِ بالحَياةِ الدُّنيا إذا كانتْ تتعارضُ مع تلك الفضائلِ .

ودعوةُ (سارتر) وغَيرِه منَ فلاسفةِ الوجوديَّةِ ، لا تخرجُ عنْ هذا المعنىٰ .

كلُّ ما في الأمرِ انَّ (سقراطَ) ومن جاءَ بعدَهُ منَ الفلاسفةِ ، دعَمُوا نظرياتِهِمُ الَّتِي تدعُو إلى نبْذِ الشَّهواتِ الدنيويَّةِ بقولِهم إنَّ الروحَ لا تموتُ أبداً ، فهي خالِدةٌ خلودَ خالقِ هذا الكونِ ، ويتوَّقفُ مصيرُ كل روحٍ في الحياةِ الأخرى على ما تفعلُهُ خلالَ عمرِها الدنيويِّ .

ولكنَّ (سـارتـر) و(سيمـون دي بـوفوار) وغيرهمـا من فلاسفـةِ الوجـوديَّـةِ الحـديثـةِ ، لم يـذكُـرُوا شيئـاً عنْ خلودِ الـروحِ ، وكـأنَّهم لا يؤمنونَ بالآخـرةِ ، واقتصروا على عـلاجِ وجودِ الإنسـانِ على ظهـرِ الأرضِ خـلالَ عمـرهِ الدنيويِّ .





من أنا ؟ !

يقولُ بعضُ الباحثين إنَّ الوجوديَّـةَ الفرنسيَّـة استمـدّتِ اسمـهَـا : Existentialisme مـنْ تأكيدِها على أنَّ الحياةَ البَشـريَّةَ لا يُمكنُ فهمُهـا الّا منْ خـلالِ بحثِ ودراسـةِ وتحليـلِ كـلِّ شخصٍ على حـدةٍ ، أو بعبـارةٍ أدقّ « وجـودِ Existence» كلِّ شخصٍ على حدةٍ .

معنى ذلـك ، أنّـهُ منَ الصَّعبِ ، إنْ لم يكنْ منَ المستحيـلِ ـ أن تُشابِـه حياةُ إنسـانٍ ما ـ من كـلِّ الوجـوه ـ حياةَ إنسـانٍ آخرَ ، فلكـلِّ إنسـانٍ تجـربتُـهُ أو تجـاربُـه الّتي تختَلفُ عنْ تجـاربِ الآخرينَ في الحياةِ .

والـوجوديَّـةُ الفرنْسيَّـةُ بوجـهٍ عامٍّ تختلفُ عنِ

الفلسفةِ الإغريقيةِ القديمةِ منْ حيثُ أنَّ هذهِ الأخيرَةَ كانَتْ تهتَمُّ بالجنسِ البشريِّ عامةً ، أيْ أنَّ الفلاسفَة الإغريق ، كانُوا يكرِّسونَ جهودَهُمْ للإجابَةِ على هذا السؤالِ :

« مَا هوَ الجنسُ البَشريُّ ؟» .

أما الفلسفَةُ الوجوديَّةُ بوجهٍ عامٍّ فإنَّها تدورُ حولَ الإجابةِ على سؤالٍ أقلَّ شمولاً وأكثرَ تحديداً وهوَ :

« من أنا ؟! » .

والواقعُ إنَّ سؤالَ « منْ أنا ؟» كانَ قدْ طرَحَهُ منْ قبلُ القديسُ أوغسطينُ St Augustine ، وكان يقصِدُ بذلكَ السؤالِ الانفرادية والأسرارَ الشخصيَّةَ الَّتي تنطوي عليْها كلُّ حياةٍ بشرِّيةٍ .

.. .. ..

إنَّ الإنسانَ كما تقولُ الوجوديَّةُ الفرنسيَّةُ

يبدو منَ الخارج ـ أو مِنْ ظاهرِهِ ـ كأنَّهُ مخلوقٌ طبيعيٌّ يُشبِهُ غيرَهُ منَ النَّاسِ ، ولكنَّهُ منَ الدَّاخلِ ـ أيْ في باطنِهِ ـ عالَمٌ كاملٌ :

Un Univers Entier

وعلى ذلكَ ، إنْ كانت هناكَ لا نهائيةٌ في هذا الكونِ فالإنسانُ هوَ مركزُها .

وغنيٌّ عنِ البيانِ أنَّ مثلَ هذِهِ الأقوالِ تبالغُ في تقديرِ قدرِ الإنسانِ ، ووزنِهِ بالنسبةِ للكونِ الهائِلِ الَّذي يعيشُ فيهِ على ظهرِ كوكبٍ صغيرٍ هوَ الأرضُ .

والقولُ بأنَّ الإنسانَ هوَمركزُ اللا نهائيةِ في هذا الكونِ قولٌ مردودٌ ، لأنَّهُ يتجاهَلُ بشكلٍ واضحٍ أبديةَ وأزليَّةَ الخالِقِ سبحانَهُ وتعالى ، تلكَ الأبديَّةُ الَّتي أثبتَها (رينيه ديكارت) ومنْ بعدهِ العلاَّمَةُ (ألبرت أنيشتاين) بأدلَّةٍ علميَّةٍ لا يغشاها أيُّ ظلٍّ مِنْ ظلالِ الشَّكِّ .

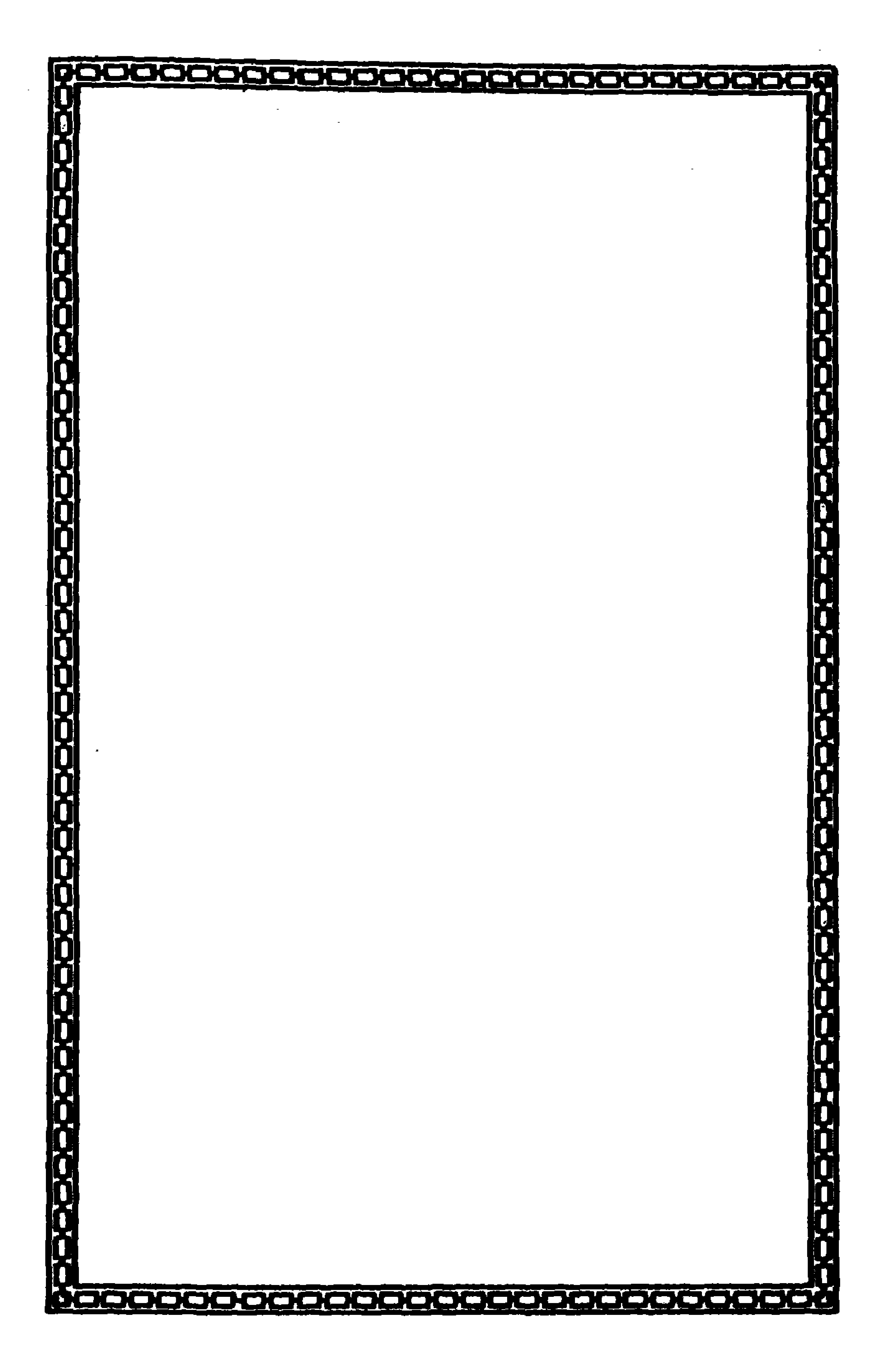
وللوجوديينَ الفـرنسيينَ أسبـابُهُمُ الخـاصَّـةُ الَّتي دَفَعتْهُمْ الى تـرديدِ مثـلِ هـذِهِ الأقـوالِ عنِ الأهميَّةِ القُصوى لِحياةِ كلِّ إنسانٍ .

والأسبـابُ الخاصـةُ هـذِهِ هيَ تلكَ الـظروفُ القَـاسيَـةُ التي عَصَفَتْ بـالشَّعبِ الفَـرَنسيِّ بعــدَ انتصارِ الجيوشِ النازيَّةِ ، فكـادتْ تُفرِّقُ جميـعَ أفـرادِهِ في بحـارٍ سحيقـةِ القـرارِ منَ اليـأسِ ، فـانبرَىٰ هؤلاءِ الكُتَـابُ لتبديـدِ ظلماتِ اليـأسِ بتضخيمِ قدرِ كـلِّ نفسٍ بشريَّـةٍ في هذِهِ الحيـاةِ ، حتَّى يتَـأتَّى لكـلِّ إنسـانٍ أنْ يقــولَ « لا ! » ولا يقبَـلُ مـذلَّـةَ الاحتـلالِ الألمـانيِّ للوطنِ الفرنسيِّ .

***

الفَصْلُ الثَالِثُ

سَارتر والعقلُ البشَري



لا يُمكِنُ لأيِّ مــذهبٍ فلسفيٍّ ـ مهمـا شطَّ أوِ ابتعـدَ عنِ الـواقـعِ الإِنسـانيِّ ـ أنْ يتجـاهَـلَ عقلَ الإنسانِ ودورَهُ العظيمَ في تكييفِ حياتِهِ .

والعقـلُ في اللُّغَـة الفَـرنسيَّـةِ يعبـرونَ عنـهُ بلفظةِ : Raison .

ولـكيْ نـستـكمـلَ بـعض الشَّـيء فَـحْـوى الـوجوديَّـةِ الفرنسيَّـةِ يجدرُ بِنَـا أنْ نعرِفَ وجهَـةَ نـظرِها ، أو وجهَـةَ نـظرِ رائـدِهـا الأوَّلِ (جـان بول سارتـر) فيما يتعلَّقُ بـالعقلِ ودَورِهِ في حياةِ الإنسانِ .

والحـديثُ عنْ دَورِ العقـلِ في الـوجـوديَّـةِ الفرنسيَّةِ حديثٌ واسعٌ متشعِّبُ الأنحـاءِ ، شأْنُـهُ في ذلـكَ شأْنُ الحـديثِ عنِ العقـلِ في ايِّ

مذهبٍ فلسفيٍّ آخرَ ، سواءٌ أكانَ قديماً أمْ حديثاً .

ولكنَّنا - حتى نتجنَّبَ التّشعُّبَ والاستطرادَ في الحديثِ عندَ مناقشةِ العقلِ لدى (سارتر) - سنركِّزُ بحثنا في مضمونِ العقلِ بوجهٍ عامٍّ .

كلُّ مذاهبِ الفلسفةِ الوجوديَّةِ - سواءٌ أكانتْ فرنسيَّةً أو غيرَ فرنسيَّةٍ - تؤكِّدُ أنَّ العقلَ البشريَّ أضعفُ منْ أنْ يتعاملَ وحدَهُ ، وبإمكانياتِهِ المجرَّدَةِ ، معَ مشاكلِ الحياةِ الإنسانيَّةِ لكلِّ فردٍ .

والوجوديُّونَ ، بوجهٍ عامٍّ يقولونَ إنَّ عدمَ كفاءةِ العقلِ للتَّعامُلِ معَ الحياةِ البشريَّةِ يرجعُ إلى سببينِ :

السبب الأوّل :

يرجعُ إلى انَّ عقلَ الإنسان ضعيفٌ نسبيّاً وذلكَ لأنَّهُ غيرُ كاملٍ Imparfait .

السَّبب الثّاني :

يـرجعُ إلى أنَّـهُ تـوجـدُ في الحيـاةِ البشـريَّـةِ منـاطقُ غامضـةٌ ومظلمـةٌ لا يَقوى عقـلُ الإنسانِ على اختـراقِهـا pénétrer لأنَّهـا غيـرُ قـابلةٍ للاختراقِ : Imperméable .

ولا يفوتنا في هذا الصدَّدِ مـا سبَقَ أنْ ذكرنـاهُ منْ أنَّ الكثيـرَ منْ نظريـاتِ الوجـوديَّةِ الفـرنسيَّـةِ استلهمَ مبـادئَـهُ منْ فلسفـةِ (رينيـه ديكـارت)، ولكنْ ، معْ صبغِها بصبغـةِ القرنِ العشـرينَ كما يقولونَ .

ومـا مِنْ شكٍّ في أنَّ صبغـةَ القـرنِ العشـرينَ الَّتي يقصدونَهَا تبـدُو أكثرَ مـا تبدُو في التحـايلِ بصورةٍ أو بأخـرىٰ على عدمِ ذكـرِ اللهِ عزَّ وجـلَّ منْ قـريبٍ أوْ منْ بعيدٍ في النـظريـاتِ الفلسفيَّـةِ وجُزئياتِها .

.. *** ..

إنَّ الفيلسوفَ الفرنسيَّ (رينيه ديكارت) باعترافِ جميعِ الباحثينَ هوَ الرائدُ الأوَّلُ للمذهب العقليِّ ، الَّذي يُطلقونَ عليهِ لفظةَ : Rationalisme، وهوَ مذهبٌ أخذَ بهِ الكثيرونَ مِنْ روّادِ الفلسفةِ الحديثةِ ، إذْ أنَّه يُوصِي بالرُّجوعِ الى العقلِ دائماً في كلِّ ما يَعنُّ مِنْ مشكلاتٍ .

المعروفُ أنَّ (رينيه ديكارت) ـ رغمَ تحكيمهِ العقلَ ـ كانَ مِنْ رأيِهِ أنَّ العقلَ ليسَ منزَّهاً عنِ الخطأ ، ولا سيِّما إنِ اعتمدَ على حواسِّ الجسمِ الَّتي تنخدعُ في كثيرٍ منَ الأحيانِ ، كما يحدثُ في الأحلامِ ، فالإنسانُ المستسلمُ للنَّومِ يشعرُ وكأنَّهُ يمشي أو يعدُو أو يتكلَّمُ ويصيحُ ، وهوَ في واقعِ الأمرِ لمْ يفعلْ مِنْ ذلكَ شيئاً ، بلْ كانَ راقداً في نومتِهِ لا يكادُ يحرِّكُ ساكناً ، ومعنى ذلكَ أنَّ الحواسَّ

قـدْ تنخدعُ لسببٍ أو لآخـر ، وينخدعُ بـالتَّـالِي إدراكُ الإنسانِ فيصدرُ أحكـاماً خـاطئةً لا تمتُّ إلى الحقيقةِ بصلَةٍ .

إلاّ أنَّ الفيلسـوفَ (رينيه ديكـارت) بعـدَ أنْ شرحَ ما أسماهُ بالشكِّ المرتبِ[1] الَّـذي انتهى بهِ الى إيمانِهِ بأنَّهَ يفكرّ ما دامَ يشكُّ ، وبذلِـكَ فهوْ مـوجودٌ ، ومنْ هنـا كانتْ عبـارتُـهُ المشهـورةُ : « أنا أفكّر . . إذن أنا موجود »

« Je Pense , donc, je suis »

ونحن إذا تعمَّـقْنـا بـعضَ الشـيء في هــذهِ الأقـوالِ نجدُ أنَّ الفيلسـوفَ (ديكارت) يـوكِلُ للعقـلِ الإنسـانيِّ مَهمَّـةَ الإشرافِ على مسلكِ الإنسـانِ ، ومُجاهـدةِ النـزواتِ الَّتي تنجمُ عنْ شهواتِ الجسدِ .

---

(١) راجع كتاب « رينيه ديكارت » أحد كتب هذه السلسلة لنفس المؤلف ونفس الناشر .

وفي ذلـك ، تلْتقي إلى حـدٍّ مـا مبـادِىء الـوجـوديَّـةِ الفـرنسيَّـةِ الحـديثـةِ هيَ ومـا قـالَـهُ الفيلسوفُ (ديكارتُ)، مـعَ ما قـالَهُ الفيلسـوفُ الإغـريقيُّ (أفـلاطـونُ) في كتـابِـهِ المسمى : (فيدراس Phaedrus)..

إنَّ كتـابـاتِ (أفـلاطـونَ) كـانتْ تمتـازُ بـأسلوبٍ أدبيٍّ رائع ، وكـانَ يدعَمُ كتـاباتِـهِ هذهِ بتشبيهاتٍ بليغـةٍ ليقـرِّبَ المعـانيَ العميقـةَ الَّتي يهدفُ اليْها منْ أذهانِ القراءِ .

لقد شبَّهَ (أفلاطُونُ) النَّفْسَ البشريَّةَ ، وكـانَ يُـطلِقُ عـليهـا لـفـظةَ Psyche، وهـيَ نـفسُ اللفـظةِ ، الَّتي استعملَهـا استـاذُهُ الفيلسـوفُ (سقـراطُ)، شبَّهها بعـربةٍ يُجـرُّهـا نـوعـانِ من الجيادِ :

النوعُ الأوَّلُ :

جيادٌ مُطهَّمةٌ بيضاءُ اللونِ .

النوع الثاني :

جيادُ أخرى سوداءُ مطهَّمةُ أيضاً ، ولا تقلُّ قوةً أو اندفاعاً عنِ الجيادِ البيضاء سالفةِ الذكر .

أما جيادُ النوع الأول - أيِ الجياد المطهمة البيضاء - فهي في نظر (افلاطونَ) تمثِّلُ الرغباتِ البريئةَ منَ المشاعرِ الإنسانيَّةِ ، أيِ الرغباتِ الَّتي لا تتنافى معَ الفضائلِ المتعارفِ عليْها .

أمَّا الجيادُ السوداءُ اللَّونِ ، فإنَّها تمثِّلُ كما قالَ (أفلاطون) النزواتِ والشهواتِ الجسديَّةَ الَّتي لا تسمَحُ بِها الفضائلُ ، كالشَّجاعةِ والفقهِ وحبِّ العدالةِ والمقدرةِ على ضبط النفسِ ، وهذِهِ الفضائلُ - كما قالَ (سقراطُ) - هيَ منْ إيحاءِ الخالِقِ الأوحدِ لهذا الكونِ ، ولمَّا كانتِ الروحُ أزليَّةً لا تموتُ ، فإنَّ مصيرَ الحياةِ

الأخرى يتوقَّفُ على طبيعـةِ مسلكِ هذِهِ الـروحِ في أثناءِ عمرِها الدنيويِّ .

وأعـطى (أفلاطـونُ) للعقـلِ السليمِ ، في صورتِهِ التشبيهيَّـةِ هذِهِ ، منـزلةً سـاميَةً ، إذْ أنَّـهُ جعـلَ منَ العقلِ قـائدَ هـذِهِ العربـةِ الَّتي تنطلقُ في طـريقِ الحيـاةِ تجـرُّهـا الجيـادُ البيضـاءُ والسوداءُ .

وجعلَ في يديْ قـائـدِ العـربـةِ ـ أيِ العقـلِ السليمِ ـ أعنَّةَ هذِهِ الجيـادِ منْ بيضاءَ وسـوداءَ ، كما أعطاهُ سوطاً يـرهبُ بهِ الجيـادَ السوداءَ الَّتي تنـزعُ دائمـا إلى طـريقِ السـوءِ والـرذيلةِ ، فـإذا أرهبَهـا ولم ترتَـدِعْ ، ألهبَها بـالسوطِ لتَسِيـر في نفس الطريقِ الَّذي تنـطلِقُ فيهِ الجيـادُ البيضاءُ ، تلكَ الجيـادُ الَّتي تمثّـِلُ الـرَّغبـاتِ البـدنيَّـةَ مِنَ المشـاعرِ الانسـانيَّةِ الَّتي تـرضى عنهْا الفضـائِلُ المتعارفُ عليْها .

أيْ أنَّ صـوتَ العقـلِ ، أوْ بعبـارةٍ أخـرى سـوط العقلِ هـوَ الَّـذي يجبِرُ الجيـادَ السـوداءَ على التزامِ جادَّةِ الصوابِ .

والمـدلـولُ الـوَاضـحُ لفلسفـةِ (أفـلاطـون) هـذهِ ، والَّذي لا يقبـلُ أيَّ جدلٍ أو نقـاشٍ ، هـوَ أنْ يكونَ لـلإنسانِ عقـلٌ واعٍ سليمٍ يمنَحُهُ الـقـدرةَ كـيْ يـقـولَ بـحـزمٍ : « لا . . لا . . لا ! ». لأيِّ انحـرافٍ لا ينسجمُ مـعَ مقتضيـاتِ الفضـائـلِ والمبـادىء الخلقيَّـةِ السليمةِ .

وواضـحٌ كلَّ الـوضوحِ أنَّ هـذا المدلـولَ أوِ المضمونَ للتشبيه الَّذي ساقَـهُ (أفلاطـونُ) عنْ « عربة النفسِ البشـريَّةِ » ينـطبِقَ انطبـاقاً يكـادُ يكونُ تاماً على ما تُنادي به الوجوديَّةُ الفرنسيَّـةُ ، ورائـدُهَا (جـان بول سـارتر) منْ وجـوبِ قدرةِ الإنســانِ على أنْ يقــولَ : « لا »، فــلا يُحني

رأسَـهُ للذُّلِّ أوْ للمهـانـةِ مهمـا بلغَتْ قسـوةُ الظروفِ الَّتي تضطَرُّهُ الحياةُ إليْها .

.. *** ..

هنـاكَ مـلامـحُ أخـرى للتّشـابُـهِ بينَ فلسفـة (أفلاطون) ومـذهـبِ الوجـوديةِ الفـرنسيَّةِ ، ولا سيَّما إنْ نحنُ تجاهَلْنـا ما تُـوحي بـهِ هـذِهِ الأخيـرةُ مِنَ الميلِ إلى الإلحـادِ وإنكارِ الخـالقِ جلَّ شَأنُـهُ كملهمٍ ومُوحٍ بـالفضائـلِ الإنسانيَّـةِ الساميَةِ .

هنـاكَ تشبيهُ آخـرُ للفيلسوفِ (أفـلاطون) لا يقـلُّ روعـةً - منْ حيثُ التصـور - عنْ تشبيـهِ « عربةِ النفسِ البشريةِ » الَّذي شرحناهُ آنِفاً .

إنَّ هـذا التشبيهَ الثـاني هوَ في الحقيقـةِ أكثرُ قُرباً إلى مبـادىءِ الوجـوديَّةِ الفـرنسيَّةِ الحـديثةِ منَ التشبيهِ الأوَّل ، بل يكادُ ينطبقُ انـطباقاً شبهَ

تـامٍّ على عبـاراتٍ وردتْ في بعضِ مؤلَّفـاتِ (جان بول سارتر) سـواءٌ في روايتِـهِ التي اسماها (الذباب : LesMouches) أوروايته الأخـرى المسمـاةِ : (الجـدار : le Mur) ، او روايتــه الثـالثـة ، (الغثيـان ، la Nausée) ، والغثيـانُ هـوَ رغبةُ الانسـانِ الـلا إراديةُ كيْ يتقيَّـأَ مـا في جوفه .

والمقصودُ بطبيعـةِ الحالِ هـوَ الاشمئزازُ العـارمُ منْ بعضِ الخطَايا الاجتمَاعيَّةِ والخُلقيةِ .

لقد ذكرَ (افلاطونُ) تشبيهَهُ الثاني في كتـابِهِ الـمـعـروفِ بـاسـمِ (الـجـمـهـوريـة La Republique) .

شبَّـهَ (أفـلاطـونُ) الـرِّجـالَ بمجموعةٍ مَن النَّاسِ مقيـدينَ بـالسلاسِـلِ داخـلَ كهفٍ مـظلمٍ ، وقـدْ اوْلَـوْا ظهـورَهُمْ لنـارٍ متـأججّـةِ اللهيبِ تشـعُّ منها أضـواءُ متراقصـةٌ ، فلا يـرى

المقيَّـدونَ بالسـلاسل مِنْ أنفسِهِمْ سـوى ظلالٍ غـامضةٍ متضـاربةٍ تتحـرَّكُ في تخبُّطٍ أمامَ أعينِهِمْ على الجدارِ الَّذي يواجهونَهُ .

هــذا عن حـاسَّـةِ البصـرِ ، فهُمْ لا يـرَوْنَ الحقيقةَ بلْ يرونَ مجرَّد ظلالٍ مشوَّهَةٍ لَها .

أما عنْ حاسَّةِ السَّمْعِ ، فـإنَّ هؤلاءِ الرجـالِ المقيّـدينَ بـالسـلاسِلِ لا يسمعـونَ شيئاً إلا صوتَ أزيزِ النيرانِ ، وقرقعَـةِ ألسنةِ لهيبِهـا ، وما يصـدرُ عنهُمْ منْ صـرخَـاتٍ مـدويّـةٍ ، أو أنـاتٍ مكبوتَةٍ .

والفيلسـوفُ (أفـلاطـونُ) يقصـدُ منْ هــذا التشبيهِ أنَّ الإنسانَ الَّذي يتجاهلُ حكمةَ العقـلِ السَّليمِ ، يجـدُ نفسَـهُ مُكبَّـلاً بشهـواتِ الحيـاةِ المـاديّةِ ، فـإذا ما التهبتْ نيـرانُ النَّـدمِ أوْلَاهـا ظهـرَهُ فـلا يـرى منْ واقـعِ أمـرِهِ سـوى تلكَ الـظلالِ المشوّهـةِ المتخبـطةِ ، ولا يستمـعُ إلّا

لصيحـاتِ وتأوّهـاتِ منْ كانـوا على شاكلتِـهِ منَ الناسِ .

ويُكملُ (أفلاطونُ) قصَّةَ تشبيهِهِ هذِهِ فيقـولُ إنَّ واحـداً منْ هؤلاءِ الرِّجـالِ تمكَّنَ ـ بوسـاطـةِ استخـدامِ عقلِهِ لا قـوّتِـهِ الجسـديَّـة ـ منْ أنْ يفلتَ منَ السلسلةِ الَّتي كـانتْ تُقيِّدُهُ ، فَـانـطلَقَ بعيـداً عنْ زمـلائِـهِ ، وبـذلـكَ أمكنَـهُ انْ يتبيَّنَ حقيقـةَ الأمرِ ، فخـرجَ منْ ذلكَ الكهفِ الكئيبِ المـظلمِ كيْ يستمتِـعَ بـأضـواءِ الشمسِ ، تلكَ الأضـواء الطاهـرةِ الـطبيعيـةِ الَّتي منحهـا خـالقُ الكونِ للحياةِ البشريَّةِ .

إنَّ الإنسـانَ يمكنُهُ بـاستخـدامِ عقلِهِ السليمِ منْ أنْ ينـجـوَ بنـفسِـهِ ويـخلِّصَـهـا منْ أدرانِ الخـطيئةِ ، فيستمتِـعَ بضياءِ الحقيقـةِ البـاهـرةِ ، ويتخلَّصَ إلى الأَبدِ منَ السلاسِلِ الَّتي تُبقيهِ في الـظَّلامِ والعـذابِ بسببِ جهلهِ وتهـافتِـهِ على

ملذّاتِ الحياةِ الفانيةِ .

انَّ النـظرةَ العـامَّـةَ على فَلسفـةِ كـلٍّ منْ (سقـراطَ) وتلميـذِهِ (أفـلاطـونَ) و(أرسـطو) تكادُ تتَّحِدُ فيما يتعلَّقُ بالأخـلاقياتِ Exhies مـع نظريةِ الفيلسوفِ الفرنسيٍّ (رينيه ديكارت) .

.. *** ..



الإنسانُ وحدةٌ متكاملةٌ

رغمَ التَّشـابُهِ المـوجودِ في بعضِ النَّـواحي بَيْنَ فلسفةِ (جان بول سارتـر) وفلسفاتِ الَّـذين سبقـوهُ سواءٌ منْ فـلاسفةِ الإِغـريقِ أمْ غيـرِهِمْ ، يوجدُ فارِقٌ جوهريٌّ جديرٌ بالدِّراسةِ .

إنَّ الـوجوديـةَ الفرنسيَّـة رغم تَسليمِها بهيْمَنَـةِ العقـلِ السليمِ على مسلكِ الإنسـانِ ، إلَّا أنَّ أكثـريةَ فـلاسفتِها يقـولونَ إنَّ الإِنســانَ يحبُّ انْ يُنظَرَ إليْه ككـلٍّ لا يتجزَّأُ ، وكـوحدةٍ متمـاسـكةٍ متكاملةٍ لا تحتملُ التقسيمَ .

وهُمْ يهـدفـونَ بـذلـكَ إلى أنَّنـا إذا شئْنـا أنَ نـدرُسَ كـلَّ إنســانٍ على حـدَةٍ فـلا يجـوزُ أنْ

نقسِّمَـهُ إلى قسمٍ سـامٍ ـ وهـوَ العقـلُ السليمُ ـ وقسمٍ آخرَ منحطٍّ وهو الغرائزُ البشريَّةُ .

إنَّ الإنســانَ في رأيِهِمْ وحـدةٌ منـدمجـةٌ في بعضِها كلَّ الانـدماجِ ، وهيَ أشبَـهُ بما يسمُّـونَهُ « الجوهرَ الفردَ » الَّذي لا يقبَلُ الانقسامَ .

وفـي هــذا الـصَّــددِ يقــولُ الـفـيـلســوفُ (بردياف Berdyaev) :

« إنَّ كـلَّ حياةٍ بشـريـةٍ تجـري في اعمـاقِهـا أنهارٌ تحتيّةٌ لا يجوزُ لنا أن نتجَـاهَلَها ، إذا نحنُ أردْنا أنْ نَسْبُرَ غورَ هذِهِ الحياةِ ، ونصدِرَ حكمَنـا الحقيقيَّ الصادِقَ عليْها » .

وهــذِهِ « الأنهـارُ التحتيَّــةُ » هيَ الـرغبـاتُ النَّفْسيَّـةُ الـدفينَـةُ الَّتي تتفـاعَـلُ وتهدرُ في قـرارةِ النَّفسِ ، وتعمَـدُ طـائفـةٌ غيـرُ قليلةٍ مِنَ النـاسِ الى تجـاهلِ وجـودِ هذِهِ الأنهـارِ التحتيَّـةِ ، أيْ

أنَّهُمْ لا يجهلونَ وجودَها ، ولعلَّهُمْ يستطيعونَهُ ، وإن كانُوا يتظاهرونَ أمامَ عامَّةِ النَّاس بالطُّهْرِ والبراءَةِ والمثاليَّةِ .

والمعروفُ عنْ (جان بول سارتر) أنه ضمَّنَ رواياتِهِ المكتوبَةَ ، ومسرحياتِهِ الكثيرَ منْ هذِهِ المعانِي لأنَّهُ اتَّخَذَ منَ الأسلوبِ القَصصيِّ وسيلةً لنشرِ مبادئِهِ عنِ الوجوديَّةِ الفرنسيَّةِ .

وساعدَ (سارتر) على النَّجاحِ ، ما يتمتَّعُ بِهِ منْ براعةٍ في فنِّ الحبكةِ القصصيةِ ، وفيمَا يُسمّى بفنِّ التشويقِ Suspense، وسلاسةِ أسلوبِهِ البعيدِ عنِ التعقيدِ اللَّفظيِّ أوِ المعنويِّ .

ومنْ رأيِ (جان بول سارتر) أنَّ الإنسانَ المرائِي المنافق ، مهما تظاهرَ بالطُّهرِ والبراءَةِ وحبِّ الخيرِ للناسِ ، ومهْما أعلنَ مِنْ آراءٍ أو بياناتٍ عنِ اعتناقِهِ بعضَ المبادىء

ـ كالاشتراكيةِ مثلاً ـ فإنَّ بركانَ الأنانيةِ الكامِن في أغوارِ نفسيّتِهِ المظلمةِ ، لا بدَّ وأنْ يتفجَّرَ يوماً ، فينفضحَ أمرُهُ أمامَ الناسِ ، ويكونَ في ذلكِ القضاءُ المبرمُ عليهِ ، بعدَ أنْ يكونَ بمُراءاتِهِ ونِفاقِهِ قدْ قَضى على سعادةِ الكثيرينَ ممَّنِ انخدَعوا في دعاياتِهِ ، فيهلَكُ ، ويهلكونَ مَعَهُ ، كما يهلكُ الذبابُ المتهافتُ على الحلوى القَذِرةِ ، فيجرُّهُ تهافُتُهُ إلى أن يلصقَ بها ، فيذوقَ مرارةَ الموتِ منْ حيثُ أرادَ أن يستعذبَ حلاوةَ الحياة .

.. *** ..

هناكَ فيلسوفٌ آخرُ منْ فلاسفةِ الوجوديةِ الحديثةِ تكادُ تشبهُ نظرياتُهُ وآراؤُهُ نظرياتِ وآراءَ (جان بول سارتر) هذا الفيلسوفُ هو : (د . هـ . لورنس : D. H. Laurence
الّذي قالَ في ردِّهِ على دعاةِ الكمالِ

الإنسانيّ : perfectibility :

« أيُّ كمالٍ إنسانيٍّ هـذا الَّـذي يـدعـونَ إليهْ ؟ .

« أهوَ كمالُ الإنسانِ ؟ .

« أيُّ انسانٍ يقصدونَ ؟ » . .

« إنَّـنِي لـستُ رجـلاً واحـداً ، كـمـا تتوهمونَ ! . ولكنْني عدّةُ رجالٍ في هيئـةِ رجلٍ واحدٍ ! . .

« أيُّ رجل منهُمْ تريدونَ لَهُ الكمالَ ؟ » .

وبعـدَ انْ يشـرحَ الفيلسـوفُ (لـورنس) مـا يعنيهِ ، وهوَ لا يخرجُ عمَّا يُسميـهِ علماءُ النَّفسِ بمرضِ انقسامِ الشخصية: Diversim of person ality يتعـرّضُ للحديثِ عنِ الـروحِ الإنسانيَّـةِ حديثـاً مسهَبـاً أتخَمَهُ بفقـراتٍ عـديـدةٍ عـابَهـا التعقيـدُ اللَّفـظيُّ والمعنويُّ ، وكـأنَّـهُ قَـدْ تعمَّـدَ التعقيـدَ

بنـوعيْهِ ، ليخـرجَ إلى النَّتيجةِ الَّتي كـانَ يهـدِفُ إليْها والَّتي يقولُ فيها :

« إنَّ الـدعـوةَ إلى الكمـالِ هيَ في الحقيقـةِ دعـوةٌ ساذجَـةٌ ، فأنَـا في واقـعِ الأمـرِ لسْتُ مـجـرَّدَ اخـتـراعٍ آلـيٍّ Mechanical Contrivance إنَّ روحَ الإِنـســانِ أمـرٌ بـالـغُ الغرابةِ ، إنَّها تشملُ جُـلَّ تكوينِـهِ ، فالإِنسـانُ روحٌ أكثرَ منْ كونِـهِ مجرّدَ جسـدٍ يتحركُ ، وهـذِهِ الـروحُ تعني المعلومَ مِنَ الـرجـلِ كمـا تَعني أيضاً المجهولَ عنْه ! »

ثمَّ ينْتَهِي (لـورنسُ) الى الـنـتـيجـةِ الَّـتي يهدفُ إليها منْ كلِّ ذلكَ فيقولُ :

« إنَّ روحَ الإِنـسـانِ هـيَ غـابـةٌ واسـعـةٌ مظلمةٌ » .

« وهـذهِ الغابَـةُ تزخَـرُ بالعـديـدِ منَ الميـولِ والغرائزِ الوحشيَّةِ الَّتي لا تمتُّ بأيَّةِ صِلَةٍ للفكرةِ

الَّتي تتصوَّرُها عنِ الإنسانِ المتمدن الراقي ».

ويقولُ الفيلسوف (لَورنْسُ) أيضاً :

« ليسَ المهمَّ الفكرةُ الَّتي نطرحُها أو ننادي بها ، ولكنَّ الأهمَّ منْ ذلِكَ بكثيرٍ هوَ رأسُ الإنسانِ الَّذي تدورُ بخلَدِهِ هذِهِ الفكرةُ ، فيقتنعُ بصوابِها عقلُهُ كما تقتَنِعُ بها روحُهُ أيضاً ».

وتتفقُ نظريةُ الفيلسوفِ (لورنسْ) معْ نظريةِ (جان بول سارتر) فيما يتعلَّقُ بكُنْهِ وأهميَّةِ العقلِ البشريِّ بالنسبةِ لوجودِ الكائنِ البشريِّ على ظهرِ كوكبِ الأرضِ ، فيقولُ :

« منَ الخطأِ أنْ نَنْظرَ إلى الإنسانِ كقوةٍ قادرةٍ على التفكيرِ السليمِ فحسبُ ، بلْ يتحتّم علينا أن نوليَ اهتماماً كبيراً لكونِ الإنسانِ بطبيعتِهِ معرَّضاً للخطأِ Fallible، يجبُ أنْ نضعَ في اعتبارنا طريقةَ تكوينِ جسدِ الإنسانِ ، وتعرُّضَهُ للأمراضِ وشتّى

الانفعــالاتِ الَّتي قَـدْ تَنْجُمُ عن ســوءِ الـدَّورةِ الـدمويَّـةِ مثـلاً ، والآلامِ الَّتي قـد يعـانيهـا منْ عظامِهِ وأعصابِهِ ومعدتِهِ وأمعـائِه وأي جـزء آخرَ منْ أجزاءِ جسدِهِ الحيِّ .

وعــلاوة على ذلــك يتعيَّنُ علينــا أنْ نقــدِّرَ أهميَّـةَ خـوفِ الإنسـانِ الـدائمِ مِنَ المــوتِ ، ذلـكَ الخوفِ الَّـذي يدفعُـهُ دَائمـاً الى السعيِ الدَّائبِ لكَيْ يظفَرَ بأقصى قسطٍ ممكنٍ مِنْ متعةِ الحياةِ » .

وغنيٌّ عنِ البيــانِ مـا في هــذا القــولِ مِنْ تجـاهلٍ أو إنكـارٍ للحياةِ الأخـرى الَّتي تحياهـا الـروحُ بعـدَ أنْ ينقضيَ عمـرُهـا الـدُّنيـويُّ على سطحِ الأرضِ .

إنــهُ قــولٌ يتّصـفُ بنفسِ مــا تتـصِفُ بــهِ الـوجوديَّـةُ الفـرنسيَّـةُ الحـديثـةُ منَ الميـلِ الى الإلحـادِ بـإنكـارِ وجـودِ الخـالِق عـزَّ وجلَّ ،

وبـالتَّـالي إنكـارِ الآخـرةِ ، بـاعتبـارِ أنَّ مـوتَ الإنسانِ هوَ نهايةُ لـوجودِهِ ، وليسَ بـدايةً لحيـاةٍ أخـرى تحياهـا الرُّوحُ في المـلإِ الأعلى ، كمـا أكدَتْ ذلكَ الأديانُ السماويَّةُ ، بلْ وكَمـا أكدَتْـهُ نـظرياتُ الفـلاسفةِ الإغـريق ، وعـددٌ كبيـرٌ منَ الفـلاسفـةِ والعلمـاءِ في العصـورِ الحـديثـةِ ، كالفيلسوفِ (رينيه ديكارت) والعلاّمَةُ العبقـريُّ الفـذُّ (ألبرت إينشتـاين) الّـذي يصفـونَـهُ بـأنَّـهُ صاحبُ أعظمِ عقليةٍ في القرنِ العشرين[1] .

.. .. ..

وقبلَ أنْ نختَتِمَ هذا البحثَ المـركَّزَ السـريعَ عنْ علاقة الوجوديَّةِ الحديثـةِ بالعقـلِ البشريِّ ، لا بـدل لَنَـا منْ أنْ نـذكـرَ في عُجـالـةٍ رأيَ فيلسـوفٍ وجوديٍّ آخـرَ يتفق مع رأي (سـارتر)

(١) راجع كتاب انشتاين أحد كتب هذه السلسلة لنفس المؤلف ونفس الناشر .

وهو الفيلسوفُ (كيـركغارد : Kierkegaard) الَّذي ألمحنا إليْهِ فيما سبقَ .

إنَّ اتفاقَ وجهاتِ نظرِ (سارتر) معَ النظريَّاتِ الفلسفيَّةِ الَّتي أعلنَها الفيلسوفُ الدانماركي (كيركغارد) لَمْ يكنْ وليدَ المصادفَةِ أوْ توارِدِ الخواطِر ، ولكنَّ (سارتر) درسَ دراسةً عميقة مؤلفاتِ (كيركغارد)، ولا سيَّما كتابَهُ الَّذي أسماهُ : (هجومٌ على العالمِ المسيحيِّ : Attach on Christendom).

لقدْ كرَّسَ (كيركغارد) هذا الكتابَ للتدليلِ على فسادِ العقيدةِ الإلَهيةِ ، وقالَ إنَّ الدينَ المسيحيَّ ما هوَ إلا وسيلةٌ لتخديرِ الناسِ ، وصرفِهِمْ عنْ حقيقةِ واقعِهِمْ حتى يهربُوا منْ مشكلاتِ الحياةِ اليوميةِ دونَ جهادٍ ، أو مجابهةٍ .

ومنْ رأيِ الدكتور (والتر كفمان :

D^r Walter Kaufmann) أنَّ (كيـر كغارد) مهَّدَ الطريقَ أمامَ فلسفةِ الوجوديَّةِ الحديثةِ لسارتر .

وقَدْ أثارتْ مؤلفاتُ (كيركغارد) امتعاضاً كبيراً بينَ الناسِ ، فقاطعوها ، وصمَّمَ هوَ على أنْ يوزِّعَ كتبَهُ بنفسِهِ ، فأصابَهُ الله بشللٍ مفاجيءٍ وهو يوزّعُ هذه الكتب ، وحملُوهُ إلى بيتهِ حيثُ ماتَ ، وكانَ ذلكَ في سنةِ ١٨٥٥ ميلاديةٍ ، وماتَ وهوَ لمْ يتجاوزْ بعدُ الثانيةَ والأربعينَ منْ عمرِهِ .

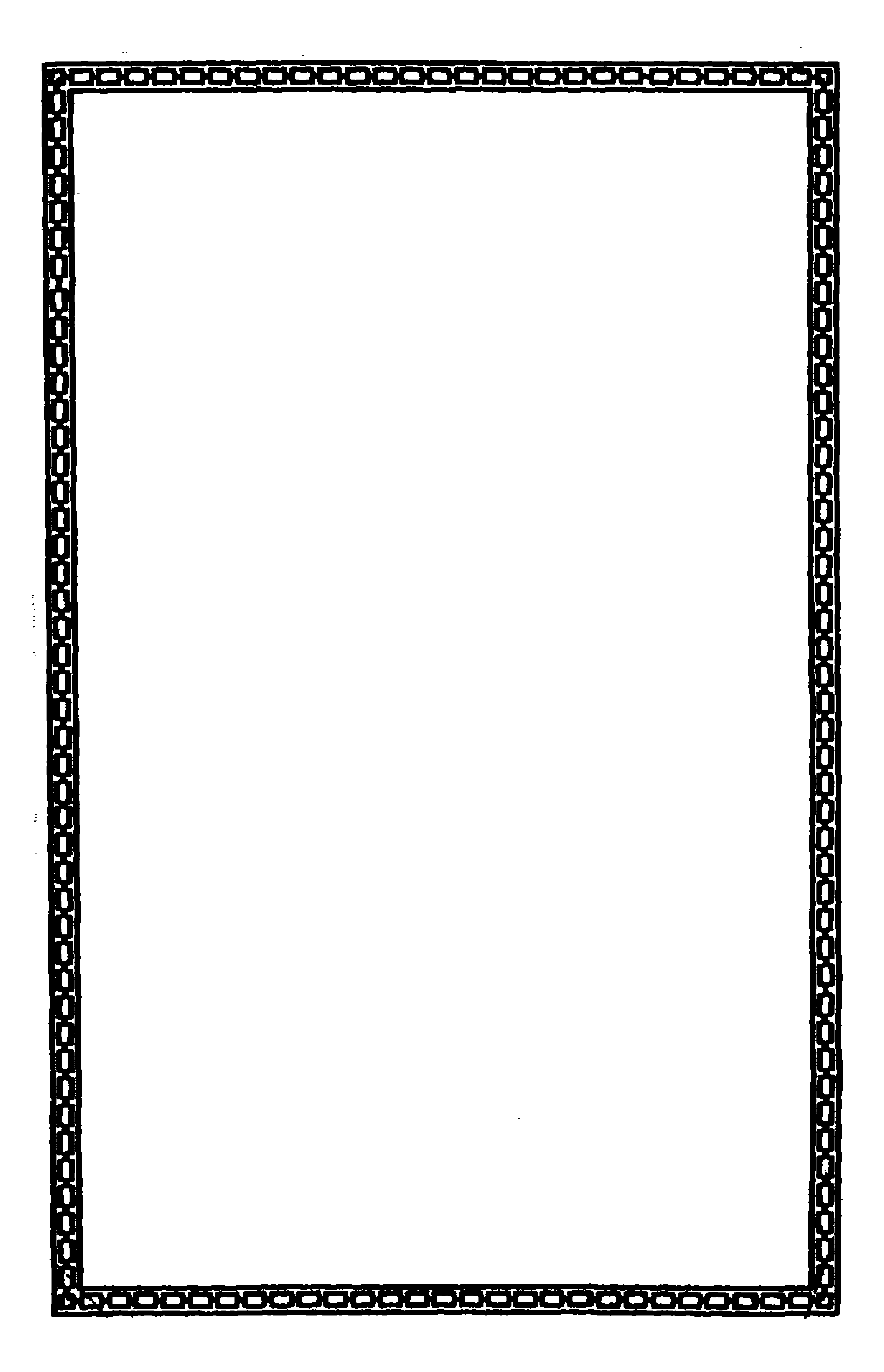
كانَ لإصابتِهِ بالشلَّلِ وهوَ يوزِّعُ مؤلفاتِهِ الملحدَةَ أثرُهُ على عامَّةِ الناسِ ، بلْ على المثقفينَ في ذلكَ الوقتِ ، فتجاهَلُوا نظرياتِهِ ، وظلَّ اسمُهُ مغموراً حتّى خرجَ (جان بول سارتر) على الناسِ بنظَّريتِهِ عنِ الوجوديَّةِ الفرنسيَّةِ الحديثةِ .

***



الفَصْلُ الرابِعُ

الوجوديَّةُ والعِلمُ الحَديث



ذَكـرْنا في الفصـلِ الرابـعِ منْ هذا الكتـابِ كيفَ أنَّ فـلاسفةَ الـوجوديَّـةِ الحديثـةِ قـدْ سَعَـوْا لإقنَـاعِ النَّاسِ بضـرورةِ فصلِ عقـلِ الإنسـانِ عنْ روحِـهِ ، لأنَّ الـرُّوحَ أمـرٌ شـديـدُ اللبْسِ والغموضِ ، وقد شبَّهَهَـا أحدُهُمْ كمـا ذكرنـا ، بالغابةِ الواسعِةِ المظلِمةِ الَّتي تزخـرُ بالعـديدِ منَ الميـولِ والغرائزِ الـوحشيَّـةِ الَّتي لا صلَةَ بينَهـا وبينَ الفكـرةِ الَّتي نتصوَّرُهـا عنِ الإنسانِ الَّـذي ارتقتْ بهِ أسبابُ المدنيَّةِ .

إنَّ الـوجـوديينَ ـ بميـلِهِمُ الـتقـليـديِّ إلى الإلحـادِ ـ وجـدوا في تقـدُّمِ العلومِ خـلالَ العصورِ الحديثةِ مبرِّراً يدعمونَ بهِ الحادَهُمْ .

وكلُّ الأدلةِ الَّتي سـاقوهَـا في هذا الصَّـددِ لا

تـرتكزُ على شيءٍ مِنَ المنـطقِ أوِ العلمِ ، فلقَدْ أثبتَ عبـاقـرةُ العلمـاءِ ، مثـلُ (اينشتَـان) و (إديسون) و(شـارل ريشيـه) و (رينيـه ديكارت) وغيرُهُمْ ، أثبتُـوا وجودَ الخـالقِ تبارَكَ وتعـالى ، أثبتُـوا هـذِهِ الحقيقـةَ الَّتي لا تَحتمِـلُ الشَّكَّ بواسطةِ براهينَ علميَّةٍ ، وأدلّةٍ منطقيَّةٍ .

ونحنُ في عـرضِنـا لـوُجهـةِ نـظرِ هؤلاءِ الـوجوديينَ الملحـدينَ ، انَّما نفعـلُ ذلـكَ حتَّى يتبيَّنَ القراءُ ما تنطوِي عليهِ أقـوالُهُمْ منْ سخَفٍ وفسـادٍ ينبُو بها عنِ المنـطقِ السليمِ ، بجعلِهـا متجـافيةً ومُنـافيـةً لكـلِّ مـا يتمشّى مـعَ العقـلِ الناضجِ والتفكيرِ السَّويِّ .

كانَ مِنَ الميسورِ علينْا أَنْ نتجاهَلَ هذا الأمـرَ ونحنُ نتحـدَّثُ عَن رائـدِ الـوجـوديَّـةِ الحـديثـةِ (جـان بـول سـارتـر)، ولـكـنَّ قـصـصَـهُ ومسـرحياتِـهِ ، ومقالاتِـهِ ، تتداولُهـا الأيـدي في

مجتمعاتِنا العـربيَّةِ ، والـدعوةُ إلى الالحـادِ فيها دعوةٌ أخفاها (سارتـر) بلباقـةٍ وخبثٍ عظيمينِ ، فصـارتْ ـ والحالـةُ هذِهِ ـ أشبَـهَ ما تكـونُ بالسمِّ في الدَّسَمِ .

لذلكَ ، فنحنُ إذا تجاهَلْناها ، أصبَحْنا مثـلَ النَّعـامَـةِ الَّتي تـدفنُ رأسَهـا في الـرِّمـالِ وهي تَعتقِـدُ ما دامتْ لا تـرى عدوَّها فهـوَ الآخـرُ لا يراها ! . .

لقـدْ ذكـرْنـا ـ في الفصـلِ السـابِق منْ هـذا الكتـاب ـ مـا قـالَـهُ الفيلسـوفُ الـدانمـاركيُّ (كيـركغارد) في كتـابِهِ الَّـذي هاجَم فيـهِ العـالَمَ المسيحيَّ .

ولـكنَّ الـفيـلسـوفَ الألمـانـيَّ (نـيـتـشـه Nietyché)كانَ أكثرَ قحةً وجرأةً في دعـوتِهِ إلى الإلحادِ ، وقالَ عبـارَتَهُ المنكـرَةَ الَّتي ما لبثَ أنْ ردَّدَها بعدَهُ عـددُ منْ روّادِ الوجـوديةِ الحـديثةِ ،

وهي :

« لقد ماتَ الله ! » .

وجـدتْ هـذِهِ العبـارةُ الآثِمـةُ تـرحيباً منْ ضعـافِ النفـوسِ ومـرضى القلوبِ ، فـأقنَعُـوا انفسَهُمْ بصحَّتِهـا كي يتـمـرَّغُـوا في أوحـالِ المُوبقاتِ ، وإنْ تظاهرَ أكثـرُهُمْ أمامَ النَّـاسِ ، بـأنَّهمْ يؤمنـونَ بـالِله وبـاليـومِ الآخـرِ ، وهمْ يحسبونَ أنَّهُمْ يخادعون الله ويخدعـونَ النَّاسَ ، وقدِ انطبقَ عليهمْ قولُ الله عزَّ وجلَّ :

﴿ وَمِنَ النَّـاسِ منْ يقولُ آمَنَّا باللهِ وبـاليـومِ الآخِرِ ومَا همْ بمؤمِنينَ* يُخـادِعونَ اللهَ والَّـذينَ آمنُـوا وما يخـدَعونَ إلَّا أنْفُسَهُمْ ومـا يَشْعُرُونَ* فِي قلُوبِهِمْ مَـرَضٌ فـزادَهُمُ اللهُ مـرضَـاً ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبونَ ﴾[1] .

صدقَ اللهُ العظيمُ

---

(١)سورة البقرة الآيات ٨ ـ ٩ ـ ١٠ .

ممَّـا يُلفتُ الأنـظارَ أنَّ الفيلســوفَ الملحـدَ (فـردريك نيتشـه) انتهتْ حياتُـهُ بنفسِ النِّهايَـةِ السِّيئَــةِ الَّتي انتهتْ بهــا حيــاةُ الفيلســوف الدانماركيِّ الكافِر : (كيركغارد) ! . .

لقـدْ أصيبَ (نيتشــه) بنـوبـةِ شللٍ مفـاجئـةٍ أصـابتْ جسمَهُ فـأصبَحَ عـاجزاً عنِ الحـركـةِ ، كما أصابتْ عقلَهُ فأصبَحَ عـاجِزاً عنِ التفكيـرِ ، وذلِـكَ في شهـرِ ينـايـر ـ كـانـون الثـاني ـ سنـةَ ١٨٩٩ ميـلادية ، أي حينمَـا كانَ في الخـامسـةِ والخمسينَ من عمرِهِ .

ولَمْ يكتبْ (نيتشه) شيئاً بعـد مَرضِـهِ هذا ، ولبثَ مـلازماً الفـراشَ سنةً بـأكملِها ، ثمَّ مـاتَ في سنةِ ١٩٠٠ .

لقدِ استوحى (جان بول سـارتر) الكثيـرَ منْ آرائِه التيِنادى بهـا من نظرياتِ (نيتشه)لا سيَّما

بتلكَ النظرياتِ الَّتي وردتْ في كتابِهِ الَّذي اسماهُ (اليوبرمان Ubermench) أيِ الرَجلُ الَّذي لاَ يقهرُ أبداً .

وكانَ (نيتشه) منَ الفلاسفةِ الَّذين مهَّدوا لتلكَ النظريَّةِ الَّتي تقولُ إنَّ تقدُّمَ الإنسانِ في العلومِ يجبُ أنْ يحرِّرَهُ منَ العقيدةِ الإلهيَّةِ ، وهوَ ـ بلا مراءٍ ـ قولُ فاسدٌ منْ أساسِهِ .

.. *** ..

مِنْ رأيِ فلسفةِ الوجوديّةِ الحديثةِ أنَّ تقدُّمَ العلومِ والصناعاتِ في العصرِ الحديثِ ، خلَقَ للجنسِ البشريِّ ، نوعاً جديداً مِنَ الرقِّ والاستعبادِ .

إنَّ العاملَ أصبحَ أسيراً للآلَةِ أوْ للمصنعِ ، كما أنَّ اكتظاظَ المدنِ بالسكّان ، وانتشارَ البناياتِ الكبيرةِ كناطحاتِ السحاب ، وضيقِ وقتِ الفراغِ المتروكِ للإنسان ، كلُّ ذلك

جعلَ منَ الإنسانِ عبداً مسترقّاً في سبيلِ السعيِ لتوفيرِ لقمةِ العيشِ ، والمسكنِ والملبسِ وغيرِ ذلكَ مما لا بدَّ منْ توافرِهِ لدى الإنسانِ حتّى يعتبرَ نفسَهُ « موجوداً » في الحياةِ .

رغم تَردِيدِ مثلِ هذِهِ الأقوالِ فإنَّ دعاةَ الوجوديَّةِ الحديثةِ لَمْ يرسُمُوا الوسَائلَ الَّتي يمكنُ للإنسانِ بمقتضاها أن يُخلِّصَ نفسَهُ ممَّا يسمّونَهُ رقّاً واستعباداً .

لقد عالجَ هذِهِ المشكلةَ عددٌ منَ الكتابِ الوجوديّينَ مثلُ الكاتِبِ الإنكليزيِّ (إلمررايس Elmer Rice) في مَسرحيتِهِ المسمّاةِ (الآلةَ الجامعةَ The adding Machine) ويقصدُ بها الإنسانَ ، ولكنّه ـ هوَ وغيرهُ منَ الكتابِ ـ لمْ يقترحُوا أيّ حلٍّ للمشكلةِ سوى الدعوةِ إلى التحرّرِ مِنْ هذا الاستعبادِ .

لِـذلـكَ ، فـإنَّ بعضَ الفئـاتِ أوّلتْ هـذِهِ الـدعوةَ بـالتحـرُّرِ منَ كـلِّ القيـودِ الَّتي يعـرِفُهـا المجتمـعُ الإنسـانيُّ ، فـارتَـدَوْا الـمـلابِسَ الممـزّقَةَ ، وأطلقُـوا لِحـاهُمْ وشعـرَ رؤوسِهِمْ ، وضَـرَبـوا بمبـادىءِ الشَّـرفِ والفضيلةِ عـرضَ الحائِط .

ومـا منْ شكٍّ في أنَّ (جـان بول سـارتر) أوْ غيرَهُ مِنْ فلاسفـةِ الوجـوديَّةِ الحـديثةِ ، لمْ يـدْعُ إلى شيءٍ منْ ذلكَ .

ولكنَّ الـدعـوةَ الآثِمـةَ إلى الإلحـادِ ، قضتْ على الضمائِرِ المريضةِ فأماتَتْها .

وقـدْ حاوَلَ عـددٌ مِنَ الفـلاسِفـةِ والمصلحينَ الاجتمـاعيِّينَ عـلاجَ الآثـار السيئَـةِ الَّتي تَـرتَّبَتْ على ما تردِدُهُ الوجوديَّـةُ الحديثـةُ منْ نظريـاتٍ ، فـاصدروا عـدداً منَ الكتبِ والمؤلفاتِ في هـذا الشأنِ .

الوجوديَّةُ والقنبلةُ الذريَّةُ !.

إنَّ الـوجوديـة كفلسفة ، مليئـةٌ بالمتنـاقضاتِ الَّتي لا يقبلُها العقلُ السليمُ .

إذْ بينمَـا ينادي دعـاتُها بنبْـذِ العقيـدةِ الإلٰهيَّـةِ بعـدَ انْ تقـدَّمَ الإنســانُ في مــدارجِ العلمِ ، يقـولونَ في نفسِ الـوقتِ إنَّ مقتضياتِ المـدنيةِ الحـديثـةِ جعلتِ الإنســانَ يـرزَحُ تحتَ نـوعٍ جديدٍ منَ الرقِّ والاستعبادِ .

لقـدْ مُنِحَتْ جائـزَةُ (نـوبـل) إلى كـاتبٍ وجـوديٍّ هـوَ (ولـيـام فـوكـنـر William Faulkner) الَّـذي ادلى الى الصحفيينَ بعد استلامِهِ الجائزةَ بتصريحٍ قال فيهِ :

« إنَّ مـأسـاةَ الجنسِ البشـريِّ في أيـامِنـا هذِهِ هيَ مأسـاةٌ تهدِّدُ أجسـامَنا جميعـاً ، أما أرواحُنا فلم تعُدْ أمامَها مشكلاتٌ تذكرُ » .

« إن كلَّ واحدٍ منّا يردِّدُ بينَـهُ وبينَ نفسِهِ هـذا السؤالَ الَّذي لا نعرفُ الإجابةَ عليهِ ، وهو :

« متى ينتهي عالَمُنا هذا؟ حينمَـا تنـدلـعُ بينَ الشرقِ والغربِ حربٌ نوويةٌ ؟ . » .

وهَذهِ المأساةُ تتكرَّرُ للمرةِ الثانيةِ ، أما المـرَّةُ الأولىٰ فكـانَتْ عَقِبَ الحربِ العـالميةِ الأولى ، الَّتي كانَ نشوبُهـا ضربـةً قاسيـةً لكلِّ مـا توصـلَ إليـهِ العقـلُ البشـريُّ منْ نـظريـاتٍ لـلارتفـاعِ بالمستوى الخلقيِّ والاجتماعيِّ للبشرِ .

لقـدْ أنهتِ القنبلةُ الذريَّـةُ الحـربَ العـالميَّـةَ الثـانيـةَ بعـدَ أنِ استسلمتِ اليـابـانُ دونَ قيـدٍ أو شـرطٍ عَقِبَ ضـربِ مـدينتيْ (هيـروشيمـا)

و(ناغازاكي) بقنبلتينِ ذريتينِ ، ولكنَّـهُ رغـمَ نتهـاءِ الحـربِ ، لم ينتَـهِ رعبُ النَّـاسِ منَ حتمالِ تجدّدِها على نطاقٍ أوسـعَ يقضي قضاءً ىبرماً على ما حقَّقَهُ الـوجودُ الإنسـانيُّ منْ نهضةٍ علميَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ عبْرَ أحقابِ التاريخِ .

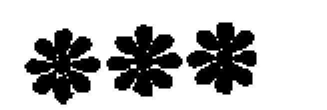
ويختَتِمُ (وليام فوكنر) بيانَهُ قائلاً :

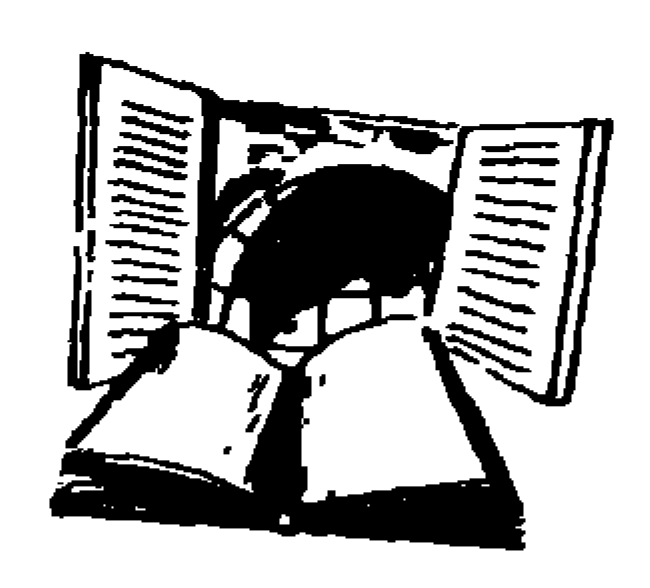
« لقـد أصبحَ كـلٌّ منّا يعتقِـدُ اعتقـاداً راسخـاً بـأنَّ التقـدُم العلمـيَّ لا يهـدفُ فـقطْ إلى الاِرتقاءِ بالمستـوياتِ الاجتمـاعيَّةِ والاقتصـاديَّةِ لـلإنسـانِ ، بـلْ إنَّـهُ يسعى أيضـاً الى تـطويـرِ وسـائلِ الهـلاكِ المدمـرّةِ ، الَّتي لا تقتصرُ فقطْ على القنـابلِ النـوويَّةِ ، بـلْ هناكَ أيضـاً حـربُ الجـراثيمِ وأشعـةِ (ليـزر)، واحتمـالُ جعلِ القمرِ قاعـدةً تنطلقُ منهـا صواريـخُ لكيْ تصيبَ أيَّ جزءٍ من أجزاءِ الأرضِ ! . ».

ويتسـاءلُ الكاتبُ بعـدَ ذلـكَ عنِ الـطمـأنينـةِ

النفسيَّـةِ الَّتي يستحيلُ على الإنسانِ العثورُ عليْها في هذا العصرِ الّذي نعيشُ فيهِ .

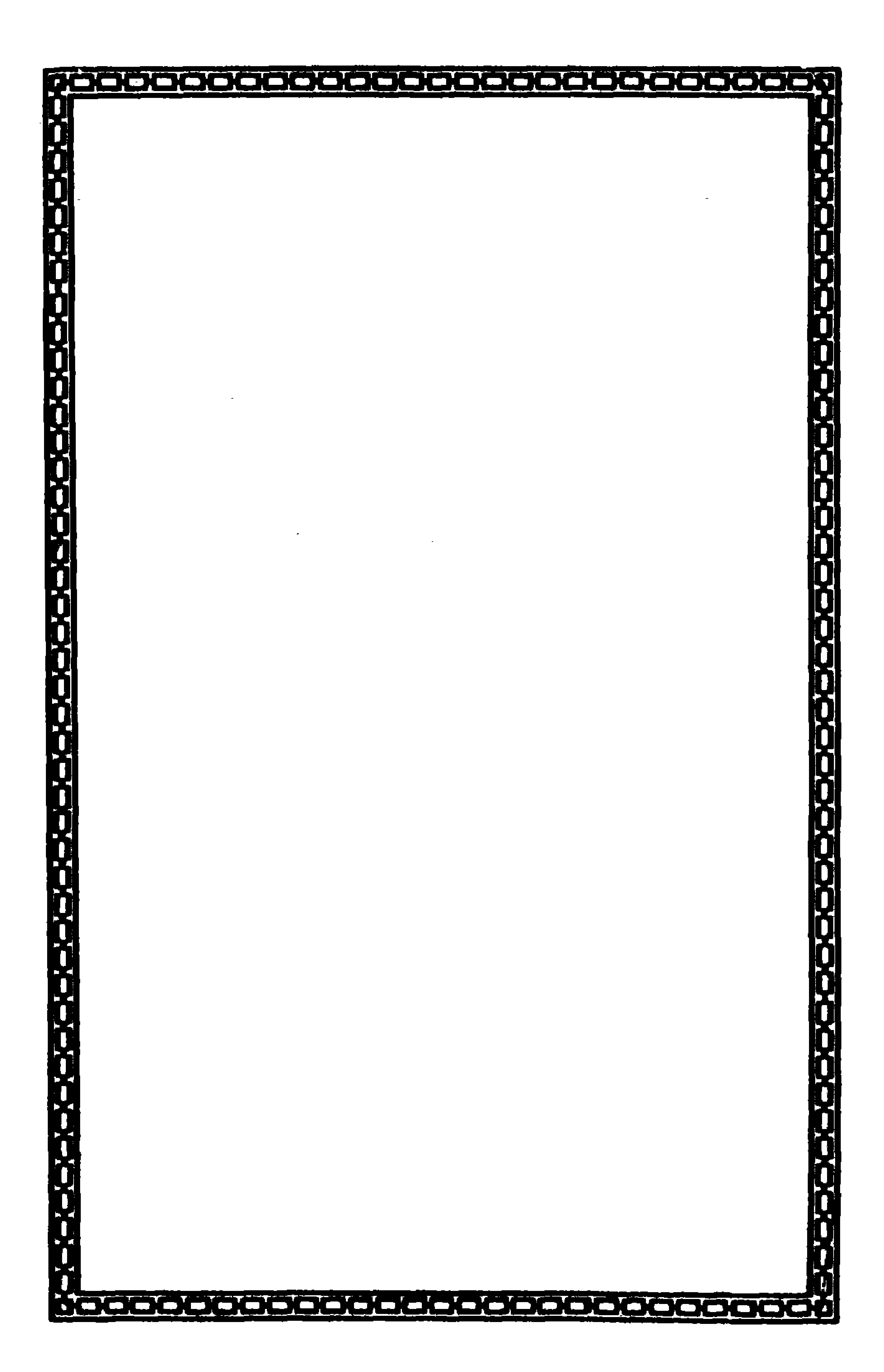
كـلُّ هذا القلقِ ، مبعثُهُ بداهةً اعتقادُ هذا الكاتبِ أو غيرِهِ بأنَّ حياةَ الرُّوحِ الإنسانيةِ مقصورةٌ على عمرِها الدنيويِّ ، وتجاهُلُهُ انَّ قدرةَ اللهِ عزَّ وجلَّ أقوى وأعظَمَ منْ كلِّ ما يقالُ عنِ القنابلِ الذريَّةِ أو الهيدروجينيةِ ، وأنَّ هذا العالَمَ لَنْ ينتهيَ إلاَّ في الساعةِ الَّتي يريدُها خالقُهُ تباركَ وتعالى .





الفصل الخامس

سارتر
وسيدنا إبراهيم



تحـاشَى (جـان بـول سـارتـر) انْ يتعـرّضَ للموضوعاتِ الدينيَّـةِ تعرّضـاً سافـراً ، سواءٌ في مجلتِّهِ الَّتي كانَ يشرفُ علَيْها واسمُهـا (العصورُ الحـديثـة) ، أَمْ فـي روايـاتِـهِ المـكتـوبـةِ ومسرحياتِهِ .

ولكنَّه شذَّ عنْ هـذِهِ القاعـدَةَ حينَ تمشّى معَ الفيلسوفِ الدانماركي (كيركغارد) الَّذي عـالجَ مـوضـوعَ أبي الأنبيـاءِ ابـراهيمَ عليـهِ الصلاةُ والسـلامُ حينَ رأى في الحُلمِ أنَّ الله سبحـانَـهُ وتعالى يأمرُهُ بأنْ يذبحَ ابنَهُ .

والمعـروفُ أنَّ مـا يـراهُ أيُّ نبيٍّ في المنـامِ إنما هو عينُ الحقيقةِ ، فأدركَ إبراهيمُ ﷺ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يأمُرُه بـانْ يذبـحَ ابنَهُ ، وأنَّـهُ يمتحنُهُ

ويبلوَهُ هل يطيعُ ربَّهْ أمْ يخضعُ لعاطفةِ الأبوَّةِ فيعصي ، وكانَ ذلك منْ أشدِّ أنواعِ البلاءِ الَّتي يمكنُ أنْ يُبتَلى بها إنسانٌ ، وكما قالَ الله جلَّ شأنُهُ في الآيةِ الكريمةِ السادسةِ بعدَ المائةِ منْ سورةِ (الصافات) :

﴿ انَّ هذا لهوَ البلاءُ المبينُ ﴾

صدقَ الله العظيمُ

وبقيةُ القصةِ معروفةٌ ، وقدْ ذكرناهُ بشيءٍ مِنَ التفصيلِ في كتابِ (ابراهيم الخليل نبيِّ الله) منْ كتبِ سلسلَةِ (قصص من القرآنِ الكريمِ) .

ولكنَّ الفيلسوفَ (كيركغارد) و(جان بول سارتر) ذكرا أنَّ الابنَ الَّذي شرعَ إبراهيمُ في ذبحِهِ كانَ (إسحاق) ، وهوَ أمرٌ غيرُ صحيح ، روَّجَ لَهُ اليهودُ بعدَ تحريفِهِمْ لنُسخةِ التوراةِ ، وذلِكَ لكراهيتهمْ لاسماعيلَ بْنِ ابراهيمَ الَّذي

يَنحدرُ مِنْهُ العربُ .

فقـد ورد في الاصحَـاح الســادسَ عشـرَ منَ العهدِ القديمِ على لسـانِ ملاكِ الـربِّ مـوجهـاً الحـديثَ الى السيِّـدةِ (هــاجـر) أمِّ اسماعيلَ عليه السَّلامُ :

الفقـرة ١١ : هــا أنت حْبلى فتلدينَ ابـنـاً اسمُهُ اسماعيلُ لانَّ الربَّ قدْ سمعَ لذلَّتِكِ .

الفقـرة ١٢ : وأنهُ (أيِ اسمـاعيل) سيكـونُ إنساناً وحشيّاً يدهُ على كلٍّ واحدٍ ويـدُ كلٍّ واحـدٍ عليهِ .

وبـطبيعةِ الحـالِ ، تلكَ العباراتُ مـدسوسـةٌ على نسخةِ التـوراةِ الأصليـة ، وهـو بـلا مراء تزويرٌ ساذَجٌ مكشوفٌ .

ووقعَ الفيلسوفـان (كيركغارد) و (جان بـول سـارتـر) في نفسِ الخطإِ الَّـذي وقـعَ فيـهِ الكثيـرونَ منَ الغـربيينَ حيثُ اعتقـدُوا أنَّ الابنَ

الذبيحَ كانَ اسحاقَ .

وسواءٌ هوَ اسحاقُ أمْ اسماعيلُ فقَدْ شاءَ فلاسفةُ الوجوديَّةِ الحديثةِ أنْ يستنتِجُوا منَ الحُلْمِ الَّذي رآهُ إبراهيمُ أنَّ الإنسانَ كيْ يطيعَ ربَّهُ ويريحَ ضميرَهُ ، عليْهِ أنْ يضحِّيَ بالكثيرِ منْ راحتِهِ الشَّخْصيَّةِ ، ويتحمَّلَ ما لَا طاقَةَ لأحدٍ به مِنَ الأسى والألمِ .

والغريبُ في الأمرِ أنَّ (جان بول سارتر) يتخذُ منْ حلْمِ إبراهيمَ ذريعةً لما يتكبَّدهُ الإنسانُ المتديِّنُ منْ آلامٍ وتضحياتٍ لا مبرِّرَ لَها في نظرهِ ، وهوَ بذلكَ يناقضُ نفسَهُ بنفسِهِ ، فكيفَ لا يؤمنُ (سارتر) بوجودِ الله عزَّ وجلَّ ، ورغمَ ذلك يناقشُ موضوعَ حلْم إبراهيمَ ، كأنَّهَ حقيقةٌ واقعةٌ ؟ .

ومنْ ناحيةٍ أخرى ، إذا كانَ المؤمنُ بالله تعالى كما يقولُ (سارتر) يتحمَّلُ في دنياهُ

الكثيرَ منَ الآلامِ والتضحياتِ ، فهوَ يفعلُ ذلكَ ليقينِهِ مِنْ أنَّ كلَّ تضحيةٍ في سبيلِ طاعةِ الله تباركَ وتعالى لها ثوابُها في الحياةِ الأخرى الَّتي لا تعرِفُ الفناءَ .

ولكنَّ فلاسفةَ الوجوديَّةِ الحديثةِ يُندِّدونَ بما يتحمَّلُهُ المؤمنونَ منْ تضحياتٍ ، ويتجاهلونَ في نفسِ الوقتِ ما يوقنُ بهِ المؤمنونَ منْ خلودِ الرُّوحِ وما قضى بِه الله عزَّ وجلَّ منْ ثوابٍ للمحسنينَ ، وعقابٍ للمسيئينَ الظالمينَ .

.. *** ..

لقد خصَّصَ الفيلسوفُ الدانماركي (كيركغارد) كتاباً بأكملِهِ عنْ حلمِ سيدنا ابراهيمَ ﷺ ، اطلقَ عليهِ اسمَ (الخوفُ والارتجافُ)، وقدْ تُرجِمَ هذا الكتابُ الى اللُّغةِ الإنكليزية بعنوان : (Fear and

. (trenbling)

وكانَ لِهذا الكتابِ أثرُهُ الظاهرُ على آراءِ (جان بول سارتر)، ولا سيَّما في عباراتِهِ الَّتي تتضمّنُ سخريةً خفيَّةً بالعقيدةِ الإلهيَّةِ ، تلكَ العباراتِ الّتي وردتْ في أكثرِ مِنْ مناسبَةٍ سواءٌ في رواياتِهِ أمْ مسرحياتِهِ ، والَّتي حاولَ هوَ منْ خلالِها أن يجعَلَ منْها طابعاً لوجوديَّةِ القرنِ العشرينَ .

ورغمَ ذلك ، ورغمَ الحادِ (كيركغارد) ، فإنَّه لم يتمكنْ من أنْ يتجاهلَ أوْ يتجاوزَ عنِ الحكمةِ الَّتي أرادَ بها الله سبحانَهُ وتعالى أنْ يبلوَ خليلَهُ ابراهيمَ .

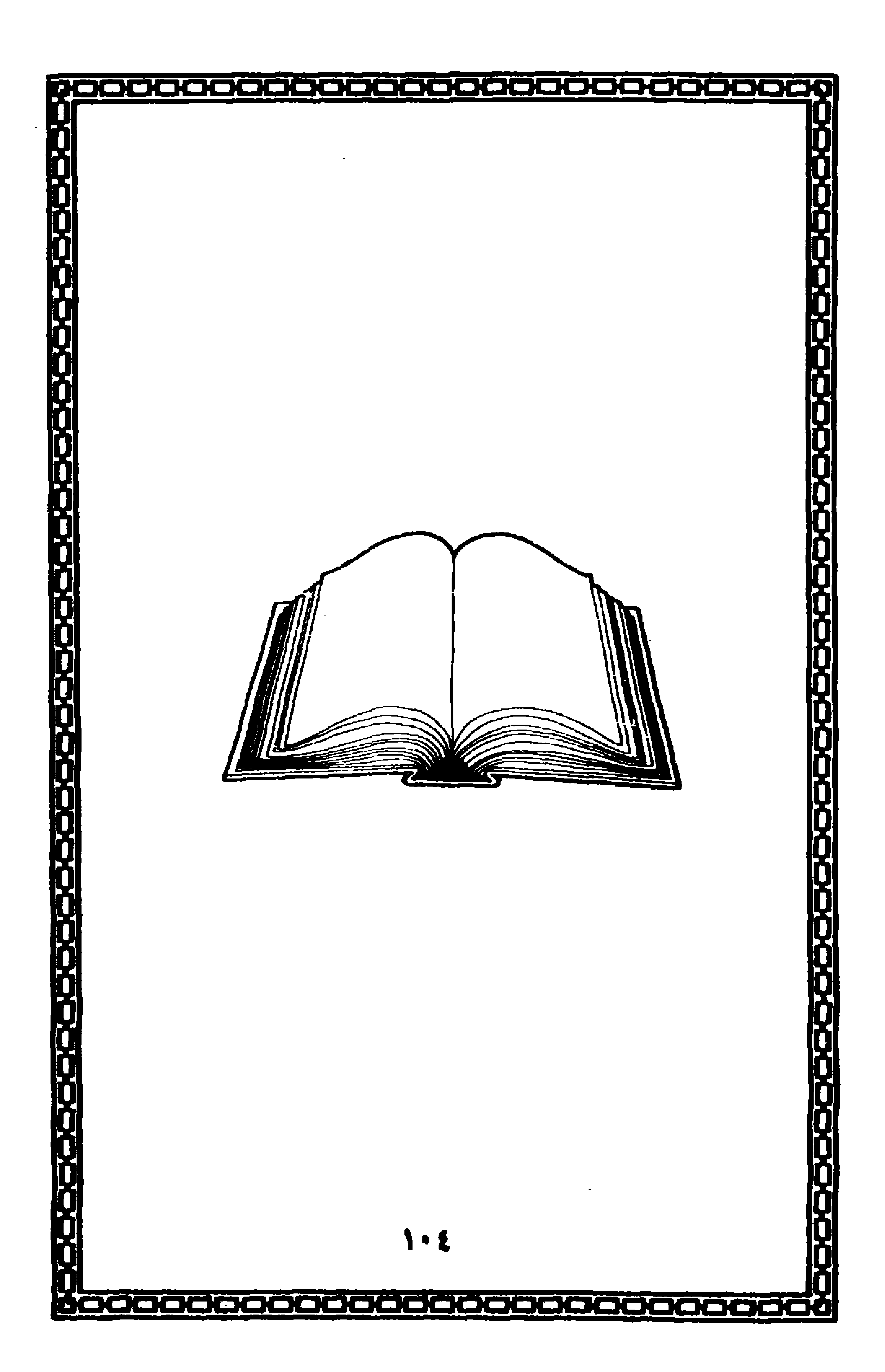
قالَ (كيركغارد) في كتابه « الرعبُ والارتجاف»: « لقد أُمِرَ (أبراهامُ) منَ الله كيْ يضحِّيَ بابنِهِ المحبوبِ ، وبذلكَ أصبحَ (أبراهام) رمزاً للرجلِ الَّذي يخيَّرُ بينْ حبِّهِ

لابنِـهِ وحبِّهِ لله ، إنَّـهُ امتحـانٌ عسيرٌ لنفسيتِـهِ ، ولكنَّـهُ اتَّخذَ قـرارَهُ بتفضيلِ حبِّـهِ لله ، وطـاعتِـهِ إيـاهُ ولإيمانِـهِ بأنَّ ابنَـهُ إذا ذُبِحَ ، فـإنَّـهُ سيلتقي بروحِهِ في الملإِ الأعلى ».

ولكنَّ (كيركغارد) أضافَ بعدَ ذلِكَ :

«إنَّ تصـرّفَ إبـراهـامَ كـانَ تصـرُّفـاً شـاذّاً لا يمكنُ أنْ يقـدِمَ عليْهِ رجـلٌ غيـرُهُ ، ومثـلُ هـذِهِ الأمورِ انتهتْ في عصرِ العلمِ الحديثِ !».





الوجوديةُ والتشاؤمُ

لا يختلفُ اثنـانِ في أنَّ الوجـوديَّةَ الحـديثةَ تتَّسِمُ بـالتشاؤمِ ، وتـدفَعُ بكـلٍّ منْ يعتنقُها الى انْ ينـظرَ الى الحياةِ منْ خـلالِ منـظارٍ أسـودَ ، فإمَّا أنْ يركبَهُ الحـزنُ والغمُّ فيجدُ نَفْسَـهُ متخبِّطاً في ديـاجيـرِ اليـأسِ ، وإمَّـا أنْ يجنحَ إلى الاستهتـارِ وعدمِ المبـالاةِ علَّهُ يخفِّفَ منْ وطـأةِ الحياةِ الَّتي أصبحتْ في ناظـريْهِ أشبـهَ ما تكـونُ بكـابـوسٍ يتمنّى الخـلاصَ منْـهُ ، وفي نفسِ الوقتِ يخشى الموتَ خشيةً عظيمةً .

إنَّ منْ يقـرأُ كتـابـاتِ (جـان بـول سـارتـر) وغيـرِهِ منَ الوجـوديينَ ، يخرجُ بنتيجـةٍ واحدةٍ :

وهيَ أنَّهُمْ يـدعـونَ الإنســانَ الى التخلّصِ من العقيــدةِ الإلهيـةِ ، والتخلصِ مِنَ القيــودِ الَّتي يفرضُها المجتمـعُ ، والتخلُّصِ أيضاً منْ نفسِـهِ ومنْ رغباتِهِ الَّتي تحدُّ منْ حريتِهِ .

ويتساءلُ الدكتور (غوردن بجلو) :

« مـا الَّـذي يبقى لـلإنسانِ بعـدَ أنْ يتخلَّصَ منْ كلِّ هذِهِ الامورِ سوى العدمِ ؟ » .

وهوَ تساؤلٌ حكيمٌ يطعنُ الوجـوديَّةَ الحـديثة في صميمِ كيانِها .

أهيَ فلسفةُ اليـأسِ ؟ . .
وهلْ لليأسِ فلسفةٌ ؟ . .

إنَّ الأمـلَ هوَ الـدَّمُ الَّذي يجـري في شرايينِ كـلِّ حياةٍ بشـريَّـة ، فـإذا انعـدمَ هـذا الأمـلُ ، تنعدِمُ معَهُ بطبيعةِ الحـالِ كلُّ الآراءِ والنـظرياتِ والفلسفاتِ ، لأنَّ النظريـاتِ الفلسفيَّةَ لا تـوضَعُ

للموتى !.. فالموتى لا يسمعونَ ولا يعونَ ! ..

إنَّ معتنقَ الوجوديَّةِ الحديثةِ يعيشُ حياتَهُ في قلقٍ ورعبٍ دائمينِ .

والسببُ الأوَّلُ والأخيرُ في ذلكَ هوَ أنَّهُ نزعَ منْ قلبِهِ الايمانَ باللهِ تباركَ وتعالى ، ولمْ يعُدْ يصدِّقُ بخلودِ الروحِ أو باليومِ الآخرِ .

إنَّ اعظمَ وأدقَّ وصفٍ للحالةِ النفسيَّةِ لهؤلاءِ الوجوديينَ هوَ ما ذكرَهُ اللهُ جلَّتْ حكمتُهُ في سورةِ (الحجِّ) إذْ قالَ جلَّ شأنُهُ :

﴿ وَمَنْ يشرِكْ باللهِ فكأنَّما خرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تهوِي بهِ الريحُ في مكانٍ سحيقٍ ﴾[1] .

صدق الله العظيمُ

---

(١) الآية ٣١ .

إنَّـهُ تشبيهٌ رائـعُ لحالـةِ الضيـاعِ الممـزوجـةِ بالرُّعبِ المستـمـرِّ الَّتي يعيـشُـهـا هـؤلاءِ الوجوديونَ .

ويكفي الإنسـانَ أنْ يتخيَّـلَ نفسَـهُ وقـدْ سقَطَ منَ السماءِ تَتخطَّفُـهُ جوارحُ الـطيرِ ، أوْ عَصَفَتْ بـهِ الـريـحُ وهي تتلقفُـهُ في مكـانٍ مـوحشٍ سحيقٍ ، يكفي أنْ يتخيَّـلَ الإنسـانُ ذلـكَ ليعلمَ حالةَ الملحدِ الكافـرِ باللهِ ، الَّـذي يعتبرُ المـوتَ نهايةً حاسمةً لجسمِهِ ولروحِهِ .

وحـالـةُ الضَّيـاعِ هـذِهِ الَّتي يعيشُهـا نفرٌ من شَبابِ هذا الجيلِ وشاباتِهِ ، ترجِع الى عدمِ ترسيخِ الوعيِ الدينيِّ في نفوسِ النشءِ .

وتـرجعُ أيضـاً إلى عـدمِ اهتمـامِ البـرامـجِ التعليميَّـةِ بالأمـورِ الدينيـةِ اهتمامـاً يتنـاسبُ مـعَ مقتضيـاتِ العصرِ الحـديثِ ، ويُخـاطبُ عقـولَ الأجيـالِ الجـديـدة الـذينَ طمسَ أذهـانَهُمُ

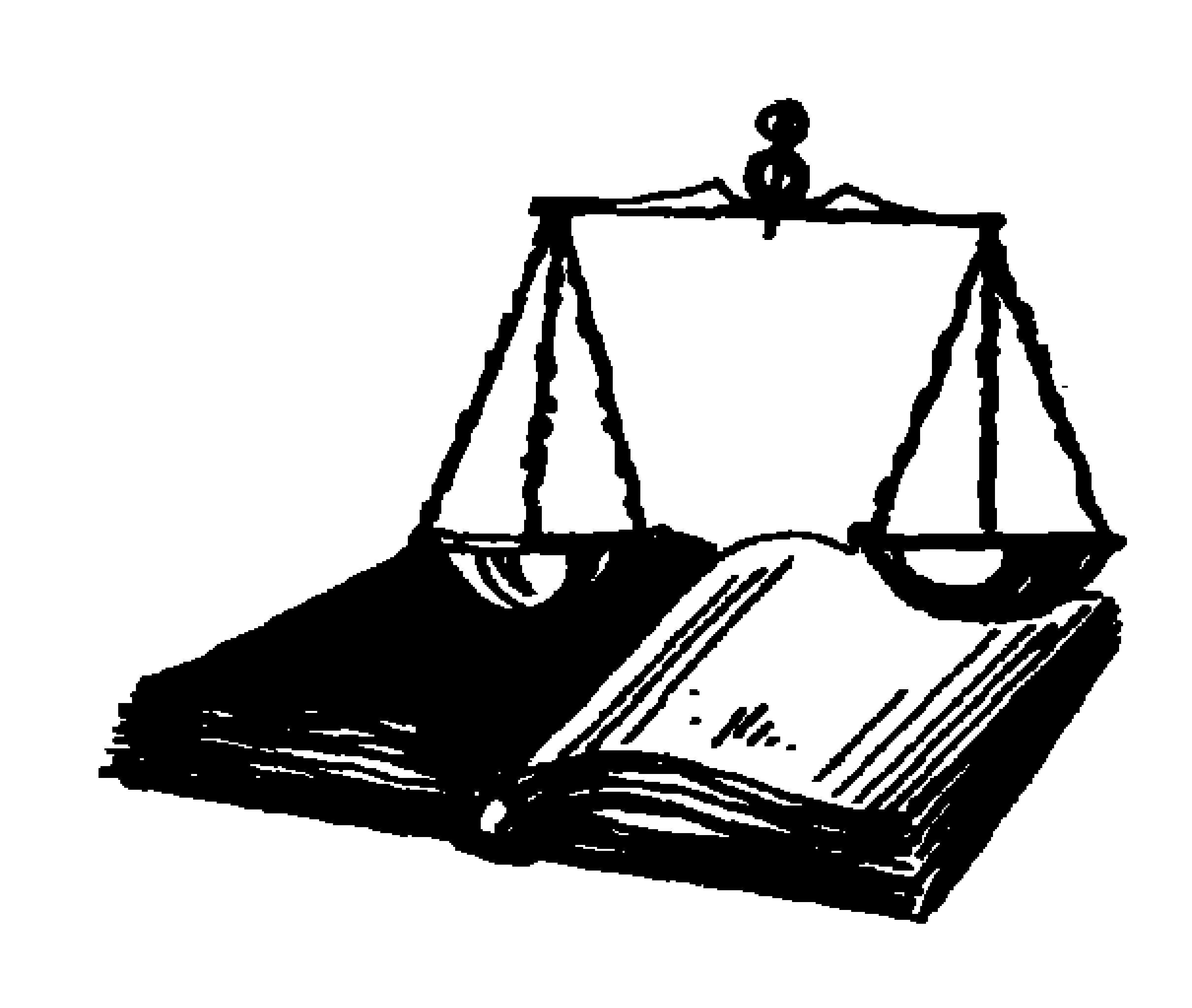
الغـــرورُ ، فحسِبــوا أنَّ قـشـــورَ العـلومِ الَّـتـي يتلقـوْنَهـا كـافيـةٌ لفهمِ حكمـةِ الحيـاةِ وحكمـةِ الموتِ !..

ودفـــعَ الغـــرورُ ببعضِهِـمْ إلـى أنْ يتـبـــاهى بالإلحادِ ، وهوَ لا يدري أَنَّهُ في ذلِكَ كـالمعتوهِ الأبله ، الَّـذي يتبـاهى بـــالقـاذوراتِ الَّتي على رأسِه !.

لقـــد تعمّـدنْـــا في هـذِهِ السلسلةِ منَ الكتبِ الَّتي نصدرُهَا عنِ العباقرةِ والفـلاسفةِ القـدامى والجـددِ ، أنْ نوجِـد قنطرةً متينـةَ الدعـائمِ بينَ العلم الحـدِيثِ وعُمقِ الإيـمـــانِ بـــاللهِ تبـــاركَ وتعـــالى ، وأنْ نُبـرزَ بعض مـــا وردَ في القـرآنِ الكريم مِن آياتٍ بيِّناتٍ هي منتهى ما يصبـو إليه محبُّو المعرفةِ مهما بلغتْ درجاتُ ثقافتِهِم .

وشرحُنا للفلسفةِ الوجوديّةِ الحـديثةِ هـوَ على سبيـلِ التحذيـرِ والتنويـر ، فالإنسـانُ إذا عـرف

مـواطنَ الأمراضِ الفتـاكةِ أمكنَـهُ أنْ يتجنبَّهَـا ، والله سبحانَه وتعالى هوَ الموفِّقُ لما فيهِ الخيرُ .



سارتر والكاتبة
سيمون دي بوفوار

لا يكادُ يُذكرُ اسمُ (جان بول سارتـر) إلاّ ويَذكرُ السـامعُ أو القارئُ اسمَ الكاتبـةِ سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir.

لقـدْ وُلِـدَتْ (سيمــون دي بـوفــوار) سنـةَ ١٩٠٨ ميـلاديةً، وهيَ منَ النسـاءِ الفـرنسيـاتِ القـلائلِ اللواتي أولَيْنَ اهتمـاماً خـاصاً لـدراسةِ الفلسفَـةِ إذ المعـروفُ أن نسبـةً قليلةً من بنـاتِ حواءَ بوجهٍ عامٍّ، يُقبلنَ على دراسةِ الفلسفةِ.

إلاَّ أنَّ (سيمــون دي بوفــوار) أقبلتْ عـلى

دراسـةِ الفلسفـةِ في شغفٍ ونهَمٍ ، وانتهتْ من دراستِها الجامعيةِ بتفوّقٍ مرموق .

ورشَّحَها تفوقُها لكيْ تلقيَ محاضراتٍ في الفلسفةِ بجامعةِ (مرسيليا) بجنوبِ فرنسا ، وبعدَ ذلكَ انتقلتْ الى جامعةِ (روان Rouen)، ثمَّ أصبحتْ استاذةً للفلسفةِ في جامعةِ باريس .

كانَ لدى (سيمون دي بوفوار) ملكةُ الكتابةِ ، فكانتْ تبعثُ بمقالاتِها للصحفِ اليوميةِ والمجلاتِ الفرنسيةِ .

كانتْ في مقالاتِها تدعُو الى الحريَّةِ بوجهٍ عامٍّ ، ولا سيّما حريةُ المرأةِ الفرنسيةِ ، وكانتْ لها آراؤُها الجريئةُ في هذا الصّددِ ، فنجحتْ ككاتبةٍ ، وابتدأ اسمُها يلمعُ بينَ كبارِ الكتابِ .

وفي سنةِ ١٩٤٣ ميلاديةٍ تركتْ (سيمون

ديِ بـوفـوار) التـدريسَ الجـامعيً نهـائيـاً لكيْ تتفرًغَ للكتابةِ في الصحفِ وتأليفِ كتبِها .

انضمتْ (سيمـون دي بوفـوار) إلى حـركـةِ فرنسا الحـرّةِ الّتي كانَ يقـودُها (الجنـرال شارل ديغول)، فكانَ انضمـامُها هـذا سبباً في تـوطيدِ عـلاقتِها مـعَ الفيلسوفِ الـوجـوديِّ (جـان بـول سارتر).

اقتنْعَتْ (سيمـون دي بـوفـوار) بجميـعِ نـظريـاتِ (سـارتـر)، فـردّدَتْ في كتبِهـا الّتي أصـدرتْهـا هـذهِ النـظريـاتِ بعـدَ أنْ حـاولتْ تحويرهَا بالصيغةِ الّتي تلائمُ المرأةَ .

وبعدَ ذلكَ حَـذتْ حذوَ (سـارتر) فتحمّستْ للمبادىءِ الاشتراكيـةِ ، وساعـدتْها قـدرتُها على الخطابةِ لكيْ يلمع نجمُها بينَ اليساريينَ .

كانَ أكثرُ كتبِها رواجاً الكتـابُ الَّذي أصـدرتْهُ

باسمِ (الجنس الثاني La Deuxième sexe)
وذلك في سنة ١٩٤٩ ميلادية .

حاولتْ (سيمون دي بوفوار) في هذا الكتابِ أنْ تحدّدَ طبيعةَ المرأةِ ، وأنْ تبدِّدَ الفكرةَ السائدةَ عنِ المرأةِ منْ كونِها خلقَتْ لتكونَ مجرَّدَ زوجةٍ وأمٍّ ومدبرةِ منزلٍ .

وقدْ وجَّهتْ في مؤلفاتِها إلى النساءِ نفسَ الدعوةِ الَّتي وجَّهَها (سارتر) منْ حيثُ التخلُّصِ منَ العقيدةِ الإلَهيةِ ، وما إلى ذلكَ منَ الآراءِ والنظرياتِ الَّتي سبقَ أن شرحناها .

وأصدرتْ (سيمون دي بوفوار) بعدَ ذلكَ عدداً منَ الكتبِ الصغيرةِ ، الَّتي تضمَّنَتْ قِصصاً كانتْ لها في الظاهرِ صبغةٌ عاطفيةٌ ، ولكنَّها في مضمونِها ومغزاها كانَتْ تهدِفُ إلى تعميم مبادىءِ الوجوديَّةِ الحديثةِ .

وفي سنةِ ١٩٥٦ ميلاديةٍ أصدرتْ كتابَها

الثـاني الكبيرَ الّـذي اسمْتُه (المتـأنقـون Les Mandarins) واللفـظةُ الفـرنسيـةُ تعني أيضـاً ثمـراتِ الليمون اليـوسفيِ ، كما كـانتْ تـطلَقُ على كبـارِ الموظَّفينَ الـذينَ يبالغـونَ في أناقتِهِمْ ولا يهتمُّـونَ بمصالـحِ الجمهورِ ، وقَـدْ عالجتْ في هـذا الكتابِ بعضَ المشكـلاتِ الاجتماعيَّـةِ في فرنسا ، كالبيروقـراطيَّةِ ، ودكتـاتوريَّـةِ رأسِ المـالِ ، والشقـاءِ الَّـذي تعـانيـهِ الـطبقـاتُ الكادحَةُ .

وبعـدَ ذلك أصـدرتْ (سيمون دي بـوفوار) عـدةَ كُتبٍ ، منهـا ثـلاثُ كتبٍ عن حيـاتِهـا المـاضيةِ ، وكتـابٌ عن موتِ والِـدتِها أسمتـه : (مـوتٌ عــذْبٌ جـداً : Une mort très douce).

انّ جميعَ مؤلفـاتِ (سيمـون دي بـوفـوار) تـظهـرُ فيهـا بـوضـوحٍ مـلامـحُ ، بـل بصمـاتُ

الوجوديَّةِ الفرنسيةِ الحديثةِ الّتي نادى بهـا (جان بول سارتر) .

إلّا أنَّ مؤلفاتِ (سيمون دي بـوفوار) يعتبـرُ خـطرُهـا على الجيـلِ النـاشىءِ أشـدَّ وقعـاً منْ خـطرِ مؤلفـاتِ (سـارتـر)، ذلـكَ لأنَّ اسمَهـا يجـذبُ الكثيرَ منَ القـارئـاتِ ، اللّواتي يتـأثّـرْنَ بـآرائِها المسمـومَةِ بـطريقةٍ غيـرِ مباشـرةٍ ، لأنَّ أسلوبَهـا في الكتـابـةِ سلسٌ ومُشـوِّقٌ ، يغـري القـراءَ على مواصلَةِ القـراءةِ ، كما أنَّها تعالـجُ في قصصِها بعضَ النَّواحي العاطفيَّةِ المثيرةِ .

.. *** ..

الوجودية والحريّة

أكثرُ الأقوالِ خداعاً ومخاتلةً عنِ الوجوديةِ الحديثةِ هوَ القولُ بأنَّها تدعو الى الحريَّةِ الشخصيَّةِ .

لقدْ رأيْناكيفَ فصلتِ الوجوديةُ الإنسان عنِ العقيدةِ الإلهيّةِ ، وفصلتْهُ أيضاً عنْ نفسِهِ وعنْ كلِّ تقاليدِ الأسرةِ أوِ المجتمعِ ، وتركتْهُ غارِقاً في بحرٍ مدلَهِمٍّ تتلاطمُ فيه أمواجُ اليأسِ والتشاؤم ، أو بمعنىً آخر سجنتْهُ وراءَ قضبانٍ نفسيَّةٍ ثَبَّتَتْها تلكَ الآراءُ .

كيفَ نقولُ والحالةُ هذِهِ أنَّ الوجوديةَ تدْعُو إلى الحريَّةِ ؟ . .

لعلَّها حريةُ اختيارِ نوعِ المَوتِ المعنويِّ البطيءِ الَّذي سوفَ ينتهي إليهِ - إنْ عاجلاً أو آجلاً - كلُّ مَن يعشقُها أو يسيرُ على دربِها .

لقدْ شرحَ (سارتر) الوسيلةَ الَّتي يمكنُ بها للإنسانِ أنْ يسلُكَ طريقَ الحريةِ ، تلكَ الحريةِ الَّتي لا تتوافَرُ إلا إذا حظيَ الإنسانُ باحترامِ باقي الناسِ لهُ ، شرَحَ (سارتر) ذلِكَ في كتابِه المسمى : (عصرُ العقلِ L'Age de Raison[1]) ويعالجُ موضوعُهُ حالةَ رجلٍ مصابٍ بالشذوذِ الجنسيِّ فاحتقرَهُ النَّاسُ احتقاراً شديداً ، وأوشكَ في يومٍ منَ الأيامِ على أنْ يجُبَّ نفسَهُ بموسى، ولكنَّهُ في اللحظةِ الأخيرةِ عدَلَ عنْ ذلكَ ، وصمَّمَ على أن يُقلِعَ عنْ عيبِهِ الخبيثِ ، ونجحَ في ذلك واستعادَ مكانَتَهُ بينَ النَّاسِ .

والحريَّةُ عندِ الوجوديينَ تتضمَّنُ مسؤوليةَ الإنسانِ عنْ مسلكِهِ ، وما يجبُ أنْ يتَّصِفَ بهِ منْ عزمٍ وقوَّةِ إرادةٍ .

يجمعُ أكثرُ الباحثينَ تعمُّقاً على أنَّ كلَّ ما كتبَ عما يسمونَهُ بالوجوديَّةِ الحديثةِ كانتْ تغلبُ عليهِ الصبغةُ الأدبيَّةُ أوِ الأسلوبُ القصصيُّ وذلكَ ممَّا يجعلُ تلكَ النظرياتِ بعيدةً عمّا نسميهِ بالفلسفَةِ ، وهيَ على أيَّةِ حالٍ منَ الأحوالِ يجبُ أنْ تُقْرأَ بشيءٍ كثيرٍ منَ الحذرِ والتَّحفُّظِ ، حتَّى لا يجدَ القارئُ نفسَهُ في سجنٍ معنويٍّ كتلكَ السُّجونِ الَّتي تطوَّعَ الوجوديونَ بدخولِها .

الفهرس

صفحة

كتب لازمة لمكتبتك

انّ هذه السّلسلة : **عباقرة خالدون** يسرد كل كتاب منها قصّة حياة أشهر عباقرة العالم من العرب والاجانب إستناداً على أدقّ المصادر . وقد صدر منها :



منشورات المكتب العالمي بيروت

للطباعة والنشر .